جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الضابط اللغوي بين الاطراد والتنوع القرائي

دراسة سياقية للفعل المضارع في القرآن الكريم (صوتيا وصرفيا)

إعداد

د/ مصطفى أحمد محمد إسماعيل
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالمنوفية،
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بسم الله الرحمن الرحيم
قالوا
سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا إنك أنت
العليم الحكيم
صدق الله العظيم
سورة البقرة الآية: ٣٢

الضابط اللغوي بين الاطراد والتنوع القرائي دراسة سياقية للفعل المضارع في القرآن الكريم (صوتيا وصرفيا)

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن صورة من صور الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال تنوع القراءات المتواترة واتفاقها في الفعل المضارع، كذا تهدف إلى بيان الصلة الوثقى بين السياق وتنوع القراءات في الفعل المضارع أو عدم تنوعها في التركيب نفسه في مواضع أخرى، وأيضًا إبراز الأثر الدلالي لمواضع التنوع والاتفاق في الصورة التركيبية للفعل المضارع في القرآن الكريم، ويهدف أيضًا إلى بيان مدى اطراد الضابط اللغوي في ضوء التنوع القرائي، ويحاول البحث أن يجيب على أسئلة، منها: هل تتنوع القراءات المتواترة في مواضع وتتفق في مواضع أخرى للمضارع ذي الصورة التركيبية الواحدة في القرآن الكريم؟ هل للسياق دور في بيان سبب التنوع والاتفاق القرائي؟ هل يترتب على التنوع والاتفاق القرائي أثر دلالي؟ وقد اتبعت في هذا البحث المنهجين: الوصفي والمقارن، من خلال الاستقراء والتحليل والاستنباط، فقمت بوصف المسألة ثم مقارنة المختلف فيه قراءة بالمتفق عليه، وبيان أثر السياق في ذلك، ودلالة الاختلاف والاتفاق، أما خطة الدراسة: فاقتضت هذه الدراسة أن تشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين، جاء أولهما للمستوى الصوتي من خلال ثلاثة مطالب، وكان المبحث الثاني للمستوى الصرفي من خلال ثلاثة مطالب، تلاهما خاتمة لأهم نتائج البحث، ثم ثبتان، أحدهما لأهم مصادر البحث، والآخر للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الضابط اللغوي، الاطراد، التنوع القرائي، السياق، الفعل المضارع، الصوتيات، الصرف.

The linguistic control between regularity and reading diversity: A contextual study of the present tense in the Holy Qur'an (phonetically and morphologically)

Mostafa Ahmed Mohamed Ismail
Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Menoufia, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mostafaesmaiel.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

The study aims to reveal a picture of the linguistic miracle in the Holy Qur'an through the diversity of the frequent readings and their agreement in the present tense, as well as to demonstrate the close link between the context and the diversity of the readings in the present tense or their lack of diversity in the same structure in other places, and also Highlighting the semantic effect of places of diversity and agreement in the synthetic form of the present tense in the Holy Qur'an, and we also aim to indicate the extent to which the linguistic control is consistent in the light of reading diversity. The one synthetic in the Holy Quran? Does context have a role in explaining the cause of diversity and reading agreement? Does diversity and reading agreement have a semantic effect? In this research, I followed the two approaches: descriptive and comparative, through induction, analysis, and deduction. I described the issue, then compared the difference in reading with what was agreed upon, and indicated the impact of the context in that, and the significance of difference and agreement. As for the study plan: this study required that it include an introduction, a preface, and two topics The first of them came to the phonetic level through three demands, and the second topic was to the morphological level through three demands, followed by a conclusion of the most important research results, then two proofs, one for the most important research sources, and the other for topics.

Keywords: Linguistic control, Regularity, Reading diversity, Context, Present tense, Phonetics, Morphology.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، ورضي الله عن صحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أنزل الله كتابه المعجزَ القرآنَ الكريم باللغة العربية، فقال:﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٥]، وتواترت قراءاته من لدن النبي . صلى الله عليه وسلم . ولا تزال تُدرس هذه القراءات في ضوء المجالات المعرفية المختلفة، والذي يتدبر تنوع القراءات المتواترة ومدى توافق هذا التنوع مع القاعدة أو الضابط اللغوي يجد الصور الآتي:

الصورة الأولى: - أن تتفق القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي، ككل مضارع سبق بـ (لم) فإنه مجزوم، وكل مضارع سبق بـ(لن) فإنه منصوب.

الصورة الثانية: أن تتنوع القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي في جميع مواضعه، نحو ما ذكرته معاجم اللغة، " **حَزَنَهُ الأَمْر يَحْزُنُه ... وأَحْزَنَهُ غيرُهُ،... لُغَتانِ....** حَزَنَه لُغةُ قُرَيْشٍ، وأَحْزَنَه لُغَةُ تَمِيمٍ،... وأَمَّا الفِعْلُ اللازمُ فإِنَّه يُقالُ فِيهِ: حَزِنَ يَحْزَنُ لَا غَيْر"(١)، وَقد قرئ بهما في جميع مواضع المضارع المتعدي إلى المفعول في القرآن الكريم(٢)، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾[يونس:٦٤]، ونحوه قول معاجم اللغة:" ... **حَسِبَهُ كَذَا كَنَعِمَ يَحْسِبُهُ ويَحْسَبُه فِي لُغَتَيْهِ بالفَتحِ والكَسْرِ** "(٣)، وقد قرئ هذا المضارع في جميع مواضعه(٤) بالكسر والفتح(٥)، كقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة:٣].

(١) تاج العروس (ح ز ن).
(٢) تقريب النشر (٤٨٧/٢).
(٣) تاج العروس (ح س ب).
(٤) واحد وثلاثون موضعا.
(٥) تقريب النشر في القراءات العشر (٤٧٦/٢).

الصورة الثالثة: أن تتفق القراءات المتواترة وفق الضابط اللغوي في أكثر لغة القرآن، وتخالفه ظاهريا في مواضع قليلة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥]، حيث إن الفعل ﴿يَأْتِ﴾ مرفوع، لكن ياءه محذوفة، وقد" أَثْبَتَهَا وَصْلًا الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ، وَأَثْبَتَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ فِي الْحَالَيْنِ وَحَذَفَهَا الْبَاقُونَ"(١)، والِاجْتِزَاء بِالْكَسْرَةِ عَنِ الْيَاءِ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ هُذَيْلٍ(٢)، وجميع مواضع هذا الفعل خلا هذا الموضع لم تختلف فيه القراءات المتواترة.

الصورة الرابعة:ـ أن تتنوع القراءات المتواترة وفق أوجه الضابط اللغوي في مواضع، وتتفق في بعضها، ككل مضارع " اجتمع فيه تاءان جاز فيه إضمار إحداهما"(٣)، وإظهارهما، وإدغام الثانية في مقاربها، ففي قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد (٤)، فمن قرأها: ﴿**تذّكّرون** ﴾أراد: تتذكرون، فأدغم تاء تفعّل في الذال، وإدغامها فيه حسن؛ لأن التاء مهموسة، والذال مجهورة، والمجهور أزيد صوتا، وأقوى من المهموس، فحسن إدغام الأنقص في الأزيد، ...والباقون حذفوا التاء، التي أدغمها هؤلاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة (٥)، وإذا كانت القراءات المتواترة قد تنوعت في سبعة عشر موضعا لهذا الفعل المضارع، فإنها

(١) النشر(٢/٢٩٢).
(٢) البحر المحيط(٦/٢٠٩)
(٣) التفسير البسيط (٧/٥٣).
(٤) تقريب النشر في القراءات العشر (٢/٥٢١) .
(٥) تقريب النشر (٢/٤٧٤) .

اتفقت على أحد أوجه القاعدة، وهو إظهار التاءين في ثلاثة مواضع:﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:٨٠] [السجدة:٤]﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾[غافر:٥٨].

ومثل ذلك الفعل (تفرق) ورد في خمسة مواضع، يتفق صورة في ثلاثة مواضع منها، ويختلف زمنًا، يقول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا **وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ [آل عمـــــــران:١٠٣] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ **تَفَرَّقُواْ** وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[آل عمـران:١٠٥]﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ **فَتَفَرَّقَ** بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعـام:١٥٣]﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا **تَتَفَرَّقُواْ** فِيهِ﴾[1] [الشـــورى:١٣]﴿وَمَا **تَفَرَّقُوٓاْ** إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤]، حيث تنوعت القراءات المتواترة بين تخفيف التاء وتشديدها في الموضع الأول والثالث[2]، واتفقت على تاء واحدة في الثاني والخامس، واتفقت على إظهارهما في الرابع، ويتناظر الموضعان الأول والرابع تركيبيا، ويختلفان رسما وتنوعا قرائيا، وهذه الصورة والتي قبلها هما محل البحث .

ومن أمثلة هذه الضوابط: "كلّ فعل انفتحت عين ماضيه جاز كسرها وضمها في المضارع قياسا إلا أن يمنع السماع من ذلك "[3]،و" متى اجتمع نونُ الرفعِ مع نونِ الوقاية جاز ثلاثةُ أوجهٍ ..." [4]، و" الشَّرْط إِذا كَانَ مَاضِيا جَازَ فِي جَزَائِهِ الْجَزْم وَالرَّفْع" [5]، وهكذا[6].

---

(١) ذكر البقاعي تفسير دلاليا لإثبات التاءين، فقال:" {ولا تتفرقوا} أي تفرقاً عظيماً بما أشار إليه إثبات التاء، وكأن ذلك إشارة إلى التحذير من التفرق في الأصل وإذن في الاجتهاد على قدر القوة في الفرع" (نظم الدرر١٧/٢٦٦) .

(٢) الحجة للقراء السبعة (٤/٥) .

(٣) الحجة لابن خالويه (ص١٦٢)

(٤) الدر المصون(٨/٦٧٧) (٩/٤٤١).

(٥) الكليات (١٠٤٥) .

(٦) ولا يعني هذا أننا نقول بأن للغة أثرا في تنوع القراءات، وأن أمر القراءات خاضع للقياس =

أهداف الدراسة:

من أهداف هذه لدراسة ما يأتي:

- ☒ . الكشف عن صورة من صور الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال تنوع القراءات المتواترة واتفاقها في الفعل المضارع.
- ☒ . بيان الصلة الوثقى بين السياق وتنوع القراءات في الفعل المضارع أو عدم تنوعها في التركيب نفسه في مواضع أخرى.
- ☒ - إبراز الأثر الدلالي لمواضع التنوع والاتفاق في الصورة التركيبية للفعل المضارع في القرآن الكريم.
- ☒ . مدى اطراد الضابط اللغوي في ضوء التنوع القرائي.

أسئلة البحث:

يحاول البحث أن يجيب على أسئلة، منها:

- – هل تتنوع القراءات المتواترة في مواضع وتتفق في مواضع أخرى للمضارع ذي الصورة التركيبية الواحدة في القرآن الكريم؟
- . هل للسياق دور في بيان سبب التنوع والاتفاق القرائي؟
- . هل يترتب على التنوع والاتفاق القرائي أثر دلالي؟

=

للقياس اللغوي لا للرواية، فالمقياس عندنا كما قال أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ):" **وليس كلّ ما جاز في قياس العربية تسوغ التلاوة به حتى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السلف له، وأخذهم به لأنّ القراءة سنة**" (الحجة١/٤٠)، وكما قال أبو عمرو (ت٤٤٤هـ): " **وَأَئِمَّةُ الْقُرَّاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي اللُّغَةِ، وَالْأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ، وَالْأَصَحِّ فِي النَّقْلِ، وَالرِّوَايَةُ إِذَا ثَبَتَت لا يَرُدّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ وَلَا فُشُوُّ لُغَةٍ ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَلْزَمُ قَبُولُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا**"(جامع البيان للداني (٢/٨٦٠)

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة للفعل المضارع في القرآن الكريم:

- **التحول الزمني للفعل المضارع في سورة طه:** سارة علي عبد الله الحكمي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، ع(٢) مج (٢)
- **الخلاف في إدغام إحدى التائين المبدوء بهما الفعل المضارع في بعضهما وفي حذف إحداهما:** د. نهاد حسوبي صالح، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثالث والأربعون ٢٠٠٥م.
- **دلالات الفعل المضارع الزمنية في سورتي يوسف والنحل:** لبنى عبد الرحمن، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ٢٠٠٤م.
- **الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضار ع في النص القرآني:** د. زينة قرفة، مجلة دراسات ٢٠١٧م.
- **الدلالة الزمنية للفعل المضارع في سورة التوبة:** هداية نعيم محمد أبو زاكية، (ماجستير)، جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٦م.
- **سوابق الفعل المضارع في الفصحى واللهجات العامية والألسن العربية الجنوبية:** محمد بن سالم المعشني، اللسانيات، الجزائر، مج ٢٠٠٧م، ع ١٢، ١٣، ديسمبر ٢٠٠٧م.
- **ضبط عين المضارع الثلاثي:** د. أحمد عبد الستار الجواري، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والثلاثون، ج(٤) ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
- **الفعل العربي وصيغته الزمنية في جزء عم:** فايزة كريم، (رسالة ماجستير)، الجزائر، ٢٠١٤م.
- **الفعل المضارع بعد الفاء المسبوقة بالنفي في القرآن الكريم:** د. علي ناصر محمد، مجلة كلية العلوم الإسلامية

- **الفعل المضارع في سورة آل عمران، دراسة صرفية ونحوية تطبيقية:** مصطفى عبد الرحمن، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ٢٠٠٥م.
- **الفعل زمانه وأبنيته:** إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- **قراءات الفعل المضارع المعطوف في القرآن الكريم، دراسة نحوية،** د. أحمد إبراهيم الجدبة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني ٢٠٠٦م.
- **القراءات القرآنية للأفعال المضارعة، دراسة نحوية:** صابرين خميس اللولو، (ماجستير)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م.
- **معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم:** عبد القادر حامد، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٥٨م.
- **نحو الفعل المضارع ومكانته في التراكيب الإسنادية:** د. رمزي منير بعلبكي ١٩٧٥م.
- **نواصب الفعل المضارع في القرآن الكريم، دراسة نحوية:** عبد الجبار فتحي زيدان، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج(٢) ع(٣) ٢٠٠٥م.

وكل هذه الدراسات تختلف مع الدراسة التي أقوم بها كما سيظهر . إن شاء الله .

منهج الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهجين: الوصفي والمقارن، من خلال الاستقراء والتحليل والاستنباط، فقمت بوصف المسألة ثم مقارنة المختلف فيه قراءة بالمتفق عليه، وبيان أثر السياق في ذلك، ودلالة الاختلاف والاتفاق

خطة الدراسة:

اقتضت هذه الدراسة أن تشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين، جاء أولهما للمستوى الصوتي من خلال ثلاثة مطالب، وكان المبحث الثاني للمستوى الصرفي من خلال ثلاثة مطالب، تلاهما خاتمة لأهم نتائج البحث، ثم ثبتان، أحدهما لأهم مصادر البحث، والآخر للموضوعات.

أسأل الله التوفيق في القول والعمل، وأن يعصمنا من الزلل،﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد

الضابط اللغوي: دلالته ومظاهره

– " الضَّادُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، ضَبَطَ الشَّيْءَ ضَبْطًا، وَالْأَضْبَطُ: الَّذِي يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا"[١]، وهذا يعني الضبط بالقوة، و" الضَّبْطُ: لُزُومُ الشَّيْءِ وحَبْسُه، ضَبَطَ عَلَيْهِ وضَبَطَه يَضْبُط ضَبْطاً وضَباطةً، وَقَالَ اللَّيْثُ: الضّبْطُ لزومُ شَيْءٍ لَا يُفَارِقُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وضَبْطُ الشَّيْءِ حِفْظُه بِالْحَزْمِ، وَالرَّجُلُ ضابِطٌ أَي حازِمٌ، وَرَجُلٌ ضابِطٌ ...: قويٌّ شديدٌ، ... والضابِطُ: الْقَوِيُّ عَلَى عمَلِه "[٢]

والضابط في اصطلاح العلماء: حكم كلي ينطبق على جزئياته [٣]، والقاعدة في اصطلاح العلماء تطلق على معان: مرادف الأصل، والقانون، والمسألة، والضابطة، والمقصد، وعرّفت بأنّها أمر كلّى منطبق على جميع جزئياته عند تعرّف أحكامها منه[٤]، قال الفيومي(ت نحو ٧٧٠هـ):" وَالْقَاعِدَةُ فِي الِاصْطِلَاحِ بِمَعْنَى الضَّابِطِ، وَهِيَ الْأَمْرُ الْكُلِّيُّ الْمُنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِهِ" [٥]، [٥]، أو هي: قَضِيَّة كُلية من حَيْثُ اشتمالها بِالْقُوَّةِ على أَحْكَام جزئيات موضوعها، وَتسَمى فروعا، واستخراجها مِنْهَا تَفْرِيعا كَقَوْلِنَا: كل إِجْمَاع حق، وَالْقَاعِدَة: هِيَ الأساس وَالْأَصْل لما فَوْقهَا، وَهِي تجمع فروعا من أَبْوَاب شَتَّى، وَالضَّابِط: يجمع فروعا من بَاب وَاحِد[٦].

(١) مقاييس اللغة (ض ب ط) (٣٨٦/٣).
(٢) لسان العرب (ض ب ط) (٣٤٠/٧).
(٣) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب(١٠٨) والمعجم الوسيط(ض ب ط) (٥٣٣/١).
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٢٩٥/٢).
(٥) المصباح المنير (ق ع د)(٥١٠/٢).
(٦) الكليات(٧٢٨).

والقاعدة اللغوية استقراء لأحكام أو قوانين سِمَتُها الانضباط تبنى على الاستعمال، وتستخلص من كلام العرب، وليس استنباط القاعدة اللغوية أمرا يسيرا، فهو يحتاج إلى خلفية نظرية ومعرفية، حتى يأتي الكلام على نظام واحد، ويكون مبنيا على نظرة كلية شاملة، وغير قاصرة[١]، والسماع فِي اصْطِلَاح عُلَمَاء الْعَرَبيَّة خلاف القياس، وَهُوَ مَا لم تذكر لَهُ قَاعِدَة كُلية مُشْتَمِلَة على جزئياته بل يتَعَلَّق بِالسَّمَاعِ من أهل اللِّسَان الْعَرَبِيّ ويتوقف عَلَيْهِ"[٢].

الضابط اللغوي في ضوء مستويات علم اللغة:

تنوعت الضوابط والقواعد اللغوية وفق مستويات اللغة، ومن أمثلة ذلك:

١ . **المستوى الصوتي:** مثل ما روي: " عن عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) قال: **كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ففيه لغتان: التخفيف والتثقيل**"[٣]، نحو العُسْر واليُسْر[٤]،وقد تنوعت القراءات المتواترة وفق هذا الضابط، ففي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قرأ أبو جعفر المدني بضم السين في الموضعين، وباقي العشرة بالإسكان[٥].

٢ . **المستوى الصرفي:** كقول ابن الأعرابيّ(١٥٠ – ٢٣١ هـ): كل **(أَفْعَلَ) اسم فاعله بالكسر، إلا ثلاثة أحرف أحصن**[٦]**، وأَلْفَجَ: إذا ذهب ماله**[١]**، وأسهب: كثر كلامه**[٢] [٣].

---

(١) القاعدة النحوية من منظور القدماء والمحدثين: د. سيد عبد الخالق سيد إسماعيل، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا (ص١٥١).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون(٩٧١/١) والمعجم الوسيط(س م ع) (٤٤٩/١).

(٣) إبراز المعاني(٣٣٠).

(٤) زاد المسير (٧٦/١).

(٥) تقريب النشر في القراءات العشر (٤٥٤/٢).

(٦) رَجُلٌ مُحْصَنٌ، كمُكْرَمٍ، يكونُ بمعْنَى الفاعِلِ والمَفْعولِ؛ وَقد أَحْصَنَهُ التَّزَوُّجُ (تاج العروس: العروس: ح ص ن).

=

(١) جاء في تاج العروس(ل ف ج):" لفج الرَّجُلُ، إذا أَفْلَسَ، فَهُوَ مُلْفَجٌ، بِفَتْح الفاءِ، نادرٌ مُخالِفٌ للْقِيَاس المَوضوع؛ قالَه ابْن دُرَيْد، لأَنّ اسْم الفاعِل فِيهِ وردَ على صيغةِ اسمِ المفعولِ، وَنقل الجوهريّ عَن ابْن الأَعرابيّ: كلامُ الْعَرَب أَفْعَلَ فَهُوَ مُفْعِلٌ إلاّ ثلاثةَ أَحْرُف: أَلْفَجَ فَهُوَ مُلْفَجُ، وأَحْصنَ فَهُوَ مُحْصَنٌ، وأَسْهَبَ فَهُوَ مُسْهَبٌ؛ فهذه الثّلاثةُ جاءَت بِالْفَتْح نَوَادِر.... وَقَالَ ابنُ القَطّاع فِي كتاب الأَبْنِية: وكلُّ فِعْلٍ على أَفْعَلَ، فاسم الْفَاعِل مِنْهُ مُفْعِلٌ بِكَسْر الْعين، إلاّ أَربعةَ أَحرُفَ جاءَت نَوادرَ على مُفْعَلٍ، بِفَتْح الْعين: أَحْصنَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُحْصَنٌ، وأَلْفَجَ فَهُوَ مُلْفَج، وأَسْهَبَ فِي الْكَلَام فَهُوَ مُسْهَبٌ، وأَسْهَمَ فَهُوَ مُسْهَمٌ إذا أَكْثَرَ".

(٢) جاء في تاج العروس:" أَسْهَبَ الرَّجُلُ: أَكْثَرَ مِنَ الْكَلَام فَهُوَ مُسْهِب بالكَسْر ومُسْهَبٌ، بالفَتْح....وَقد اخْتُلِفَ فِي هذِه الكَلِمَةِ، فَقَالَ أَبُو زَيْد: المُسْهَبُ: الكَثِيرُ الكَلَامِ أَي بالفَتْحِ خَاصَّةً... وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيّ: أَسْهَبَ الرجلُ: أَكْثَرَ من الكَلَام فَهُوَ مُسْهَبٌ بِفَتْح الْهَاء وَلَا يُقَال بِكَسْرِها، وَهُو نَادِرٌ. ... قَالَ أَبُو عَلِيَ البَغْدَادِيُّ: رَجُلٌ مُسْهَبٌ بِالْفَتْح إذا أَكْثَرَ الكلامَ فِي الخطأ، فإن كَانَ ذلِك فِي صَوَاب فَهُوَ مُسْهبٌ بِالْكَسْرِ لَا غير،أَي البَلِيغ المُكْثِرُ مِنَ الصَّواب بالكَسْرِ، و ...عَنْ أَبِي عُبَيْدَة: أَسْهَب فِو مُسْهَبٌ بِالْفَتْح إِذَا أَكْثَرَ فِي خَرَف وتَلَف ذِهْن، وعَن الأَصْمَعِيّ: أَسْهَبَ فَهُوَ مُسْهَبٌ، إذا خَرِف وأُهْتِر، فإن أَكْثَرَ من الخطأ قيل: أَفْنَد، فَهُوَ مُفْنَد....والدَّلِيلُ على أَن المُسْهِب بِالْكَسْرِ يُقَال لِلْبَلِيغ المُكْثِرِ مِن الصَّوَاب أَنَّه يَقُولُون لِلْجَوَادِ مِنَ الْخَيْل: مُسْهِب بالكَسْرِ خَاصة؛ لأَنَّهُما بمَعْنَى الإجادة والإِحْسَان، ولَيْسَ قَوْلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ والزُّبَيْدِيّ فِي المُسْهَب بالفَتْح هُوَ المُكْثِرُ من الكَلَام بمُوجِب أَن المُكْثِرَ هُوَ البَلِيغُ المُصِيب؛ لأَنَّ الإِكْثَارَ من الكَلَام دَاخِلٌ فِي معنى الذَّمِّ. ...وَقَالَ ثعْلَب: أَسْهَب فَهُو مُسْهَب فِي الكلَامِ قَالَ: ووجدْتُ بعد سَبْعِين سَنَةً حَرْفاً رَابِعاً وهُوَ: أَجْرَشَتِ الإِبِلُ: سَمِنَت فَهِيَ مُجْرَشَةٌ، قال الزبيدي: واسْتَدْرَكُوا أَيْضاً: أَهْتَر فَهُوَ مُهْتَر، ... و ابْن السِّكِّيت ذَكَر فِي بَعْضِ كُتُبه فِيمَا جَعَله بَعْضُ العَرَب فَاعِلاً وبعضُهُم مَفْعُولاً: رَجُلٌ مُسْهَبٌ ومُسْهِب للكَثِيرِ الكَلَام، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُما، وَاحِدٌ...(تاج العروس: س هـ ب).

(٣) حاشية الشهاب(٣/١٢١).

. والْجُمُعَة: بِسُكُون الْمِيم: اسْم من الِاجْتِمَاع، أَو بِمَعْنى الْمَفْعُول أَي: الفوج الْمَجْمُوع، والْجُمُعَة بتحريكها: بِمَعْنى الْفَاعِل أَي: الْوَقْت الْجَامِع فحركوا الْفَاعِل لقُوته، وَسَكنُوا الْمَفْعُول لضَعْفه، وَهَذِه قَاعِدَة كُلية فِي (فُعلة) ك (ضُحَكة) و (همزَة) و (لُمزَة) [1].

٣ . **المستوى النحوي: مثل ضابط:** أنّ الشيء إذا كان له صفتان تعرّفانه، وقد عرف السامع اتصافه بإحداهما دون الأخرى فأيهما عرف اتصاف الذات بها، وهو طالب لأن يحكم عليه بالأخرى يجب تقديم الدال عليه وجعله مبتدأ وتأخير غيره، فإذا عرف مثلاً زيدا بعينه واسمه دون اتصافه بالأخوّة وطلب أن تعرّفه ذلك قلت: زيد أخوك، وإذا عرف أخا لم يعينه بذاته قلت: أخوك زيد، ولا يصح غيره[2]

٤ . **المستوى الدلالي:** كقول الشهاب(ت١٠٦٩هـ)عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٦]:" **والضابط أنّ الفعل إذا نفي عن غير فاعله، وقصد مجرّد نفيه عنه كان حقيقة، وإذا أوّل ذلك النفي بفعل آخر ثابت للفاعل دونه كان مجازاً**"[3]

---

(١) الكليات (٣٥٤) وَالْجُمْهُور على أَنه يضم الْمِيم وَهُوَ الأَصْل والإسكان تَخْفِيف، وَكِلَاهُمَا مصدر بِمَعْنى الِاجْتِمَاع .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي(١/٢٥١).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي(١/٢٦٠)، وَبيان ذلك أن قَوله تَعَالَى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أَي مَا ربِحُوا فِي تِجارتهم، لأَنّ التِّجارة لَا تَرْبَح، إِنّما يُرْبَح فِيهَا ويُوضَع فِيهَا، قَالَ الأَزهريّ(ت٣٧٠هـ): جعل الفِعل للتِّجَارَة، وَهِي لَا تَرْبَح، وإِنما يُرْبَح فِيهَا، وَهُوَ كَقَوْلِهِم: لَيْلٌ نائمٌ وساهِرٌ، أَي يُنامُ فِيهِ ويُسْهر(تاج العروس: ر ب ح)، وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ):" وَإِنَّمَا أُسْنِدَ الرِّبْحُ إِلَى التِّجَارَةِ حَتَّى نُفِيَ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الرِّبْحَ لَمَّا كَانَ =

٥ . **المستوى الخطي:** كقولهم: **الضابط:** أن الألف إذا انقلبت عن واو كتبت ألفا، وإن كانت منقلبة عن ياء كتبت ياء وإنما فرقوا بينهما لينبهوا على أصل الحرف [١].

المبحث الأول: الدلالة الصوتية

المطلب الأول: إبدال السين صادا.

الضابط اللغوي: " كل سين وقعت بعدها غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء، جاز قلبها صاداً "[٢]، **وبرواية أخرى:**" الطاء والقاف والخاء والغين

=

مُسَبَّبًا عَنِ التِّجَارَةِ وَكَانَ الرَّابِحُ هُوَ التَّاجِرُ صَحَّ إِسْنَادُهُ لِلتِّجَارَةِ ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهُ فَهُوَ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا الْإِسْنَادُ الْمَجَازِيُّ لَمَا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَنِ الشَّيْءِ مَا يَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ بِالْمَعْلُومِ ضَرُورَةً، فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ النَّفْيَ فِي مِثْلِ هَذَا حَقِيقَةٌ فَتَتْرُكَهُ، إِنَّ انْتِفَاءَ الرِّبْحِ عَنِ التِّجَارَةِ وَاقِعٌ ثَابِتٌ لِأَنَّهَا لَا تُوصَفُ بِالرِّبْحِ، وَهَكَذَا تَقُولُ فِي نَحْوِ قَوْلِ جَرِيرٍ:

«وَنِمْتُ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ»

بِخِلَافِ قَوْلِكَ مَا لَيْلُهُ بِطَوِيلٍ، بَلِ النَّفْيُ هُنَا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ؛ لِأَنَّهُ فَرْعٌ عَنِ اعْتِبَارِ وَصْفِ التِّجَارَةِ بِأَنَّهَا إِلَى الْخُسْرِ، وَوَصْفُهَا بِالرِّبْحِ مَجَازٌ وَقَاعِدَةُ ذَلِكَ أَنْ تَنْظُرَ فِي النَّفْيِ إِلَى الْمَنْفِيِّ لَوْ كَانَ مُثْبَتًا فَإِنْ وَجَدْتَ إِثْبَاتَهُ مَجَازًا عَقْلِيًّا فَاجْعَلْ نَفْيَهُ كَذَلِكَ، وَإِلَّا فَاجْعَلْ نَفْيَهُ حَقِيقَةً لِأَنَّهُ لَا يُنْفَى إِلَّا مَا يَصِحُّ أَنْ يُثْبَتَ" (التحرير والتنوير (١/٣٠٠).

(١) أصول النحو العربي: محمد عيد (٢/٤٨٢).

(٢) ينظر: الفرق بين الأحرف الخمسة للبطليوسي ص ٣٣٨، تح / أ . د / حمزة النشرتي ط المتنبي سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، والمزهر للسيوطي ١/٤٦٩، والاقتضاب ٢/١٩٧، وطبقات النحو بين واللغويين للزبيدي ص ٦٠ بتصرف .

حروف مستعلية، فإذا كان منهن حرف في آخر الكلمة وقد سبقه السين فلك أن تقلب السين صادا"[١]، ليكون عمل اللسان من جهة واحدة[٢]، وشرطُ هذا الباب:

- أن تكون السينُ متقدَّمةً على هذه الحروف لا متأخرة بعدها.
- وأن تكونَ هذه الحروفُ مُقارِبةً لها لا متباعدة عنها.
- وأن تكون السين هي الأصل فإن كانت الصاد هي الأصل لم يجز قلبها سينا؛ لأن الأضْعفَ يُقْلَب إلى الأقوى ولا يُقْلَب الأقوى إلى الأضْعَف..... فهذا هو الذي يجوز القياسُ عليه وما عداه موقوفٌ على السِّماع[٣].

وقد ورد فعل مضارع وفق هذه القاعدة، فتنوعت القراءات فيه بين السين والصاد، وهو قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ **وَيَبۡصُۜطُ** وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة:٢٤٥] فـ" قرأ خلف لنفسه وعن حمزة، والدوري عن أبي عمرو، وهشام ورويس بالسين، واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد، والباقون بالصاد"[٤].

وقدم علماء القراءات **التفسير الصوتي لهذا التنوع القرائي**، فـ" السِّين هُوَ الأَصْل، وَقَالُوا لَا ينْتَقل عَن الأَصْل إِلَى مَا لَيْسَ بِأَصْل"(٥)، ووجه قول من أبدل من السين الصاد في هذه المواضع، أن الطّاء حرف مستعل يتصعّد من مخرجها إلى الحنك، ولم يتصعّد السين تصعّدها، فكره التصعّد من التسفّل، فأبدل من السين حرفاً من مخرجها في تصعّد الطاء؛ فتلاءم الحرفان وصار كلّ واحد منهما وفق صاحبه في التصعّد، فزال بالإبدال ما كان يكره من التصعد عن

(١) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٧/١) .
(٢) الكشف(٣٥/١) .
(٣) المزهر(٢٦٢/١) .
(٤) تقريب النشر في القراءات العشر(٤٧٠/٢) .
(٥) حجة القراءات(١٣٩) .

التسفّل[١]، والصاد والسين حرفان يتفقان في أنهما يخرجان مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا [٢]، كما يتفقان في معظم الصفات فهما يتفقان في الهمس، والرخاوة، والصفير، والإصمات، وتفترق الصاد عن السين في أنها صوت مفخم مستعل مطبق أصلي، بينما السين صوت مرقق مستفل منفتح يكون أصلياً وزائداً [٣]، وعلى هذا قد تبدل الصاد من السين، لوجود التقارب بينهما، كما اشترط أكثر العلماء، والإبدال الصوتي بينها صحيح وارد في اللغة.

والتفسير اللهجي لهذا التنوع القرائي: "أَنَّهُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ الصِّرَاطِ وَالسِّرَاطِ"[٤] يقال " **بسط الشيء: نشره، وبالصاد أيضاً**"[٥]،وبَسَطَه: ضِدُّ قَبَضَه، قَبَضَه، ... وأَصْلُ البَسْطِ: النَّشْرُ والتَّوْسيعُ،... والباسِطُ: هُوَ الله تَعَالَى هُوَ الَّذي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ، أَي يُوَسِّعُه عَلَيْهِ بجودِهِ ورَحْمَتِهِ، وَقيل يَبْسُطُ الأَرْواحَ فِي الأَجْسادِ عندَ الحَياةِ.... " [٦]، وقال الآركاتي(ت١٢٣٨هـ):" هو بالسين والصاد بمعنى واحد... ولا يقال: القراءة بالسين تخالف الرسم؛ لأن السين والصاد كلاهما من مخرج واحد ما بين اللسان وفويق الثنايا السفلى، وكلاهما من حروف الصفير فلا قدح في القراءة بأيهما شاء"[٧].

(١) الحجة للقراء السبعة(٣٤٧/٢) .

(٢) الكتاب (٤٣٣/٤) وسر الصناعة(٥٦/١)، والجمل في النحو للزجاجي(٤١١)، والمختصر في أصوات اللغة د/ جبل (ص ١٤٣) .

(٣) ينظر: سر الصناعة(١٨١/١، ١٨٩)، واللغة العربية وأصواتها(١٨٩، ١٩١)

(٤) التحرير والتنوير(٤٨٣/٢).

(٥) الصحاح (ب س ط) (١١١٦/٣)

(٦) تاج العروس(ب س ط).

(٧) نثر المرجان في رسم نظم القرآن(١٤٨/٢).

ـ لكن هذا الفعل المضارع ورد في ثلاثة عشر موضعا لم تتنوع القراءات المتواترة فيها كما تنوعت في الموضع السابق، وهي وفق ترتيب سور القرآن الكريم على النحو الآتي:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ ﴾ [المائدة: ١١] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ [الرعد: ٢٦] ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٣٠] ﴿ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ ﴾ [القصص: ٨٢] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [العنكبوت: ٦٢] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الروم: ٣٧] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [الروم: ٤٨] ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٦] ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ ﴾ [سبأ: ٣٩] ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الزمر: ٥٢] ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الشورى: ١٢] ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ٢]

والسؤال: ما دلالة تنوع القراءات المتواترة في موضع سورة البقرة دون سائر المواضع، مع اتفاق جميع المواضع في الدلالة المعجمية والدلالة الزمنية؟ وهل للسياق أثر في ذلك؟

وللإجابة على هذا السؤال يمكننا أن نلمح بعض الدلالات الآتية:

١ ـ الأصل في هذا الفعل السين، قال الجوهري(٣٩٣هـ):" بسط الشيء: نشره، وبالصاد أيضاً"[(١)]، فقراءة السين على الأصل، وقرئ موضع البقرة بالصاد ليشاكل مقابله؛ إذ اشتمل فعل﴿ يَقۡبِضُ﴾على حرفي استعلاء (القاف والضاد)، فشاكله الفعل ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾بحرفي الاستعلاء الصاد والطاء، أما باقي المواضع وخاصة الواردة في السياق المناظر لآية سورة البقرة . أعني سياق بسط الرزق . فلم يرد المقابل إلا مشتملا على حرف استعلاء واحد هو القاف في قوله ﴿وَيَقۡدِرُ﴾وشاكله صوت الطاء في قوله﴿ يَبۡسُطُ﴾، ويضاف إلى ذلك كثرة حروف الاستعلاء في الآية الكريمة﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾، و" القرض: الجزّ من الشيء والقطع منه، كأنه يقطع له من ماله قطعة ليقطع له من ثوابه أقطاعاً مضاعفة، ..." [(٢)].

والْمُشَاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ باب معهود عند العرب، ووردت به القراءات المتواترة، ونص العلماء عليها، ومن ذلك:

ـ في قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن﴾[(٣)]أدغم أبو عمرو البصري الباء في الميم من قبيل الإدغام الكبير في هذا الفعل فقط حيث ورد، " وما عدا كلمة ﴿يُعَذِّبُ﴾ لا يدغم باؤها في الميم نحو ﴿ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ [الحج:٧٣]﴿سَنَكۡتُبُ مَا﴾ [آل عمران:١٨١] [مريم:٧٩] ؛لأنه اقترن بكلمة ﴿يُعَذِّبُ﴾ ما يجب إدغامه في

(١) تاج اللغة وصحاح العربية(ب س ط)(١١١٦/٣) .

(٢) نظم الدرر(٤٠٣/٣).

(٣) وردت في سور: (البقرة ٢٨٤، وآل عمران ١٢٩، والمائدة ١٨، و٤٠، والعنكبوت ٢١ والفتح ١٤).

أصله وهو ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [العنكبوت:٢١] ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٤٠]، إما قبلها أو بعدها، فطرد الإدغام فيه موافقة لما جاورها"[١].

- ولم يمد ورش ﴿مَوۡئِلٗا ٥٨﴾ [الكهف:٥٨] مد اللين على أصله في مد كل واو أو ياء ساكنتين بين فتح وهمز ؛ " مشاكلة لرؤوس الآي؛ لأن بعده ﴿مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكهف:٥٩] "[٢].

- وفي قوله تعالى ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام:٩٦] قرئ ﴿وجاعل﴾ بألف وكسر العين ورفع اللام وخفض﴿ ٱلَّيۡلَ﴾ [٣]، قال أبو عليّ(ت٣٧٧هـ): " وجه قول من قال ﴿وجاعل﴾أن قبله اسم فاعل﴿فَالِقُ﴾...، ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه، ألا ترى أنّ حكم الاسم أن يعطف على اسم مثله؛ لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، وقد رأيتهم راعوا هذه المشاكلة في كلامهم ... ومن قرأ﴿وَجَعَلَ﴾فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضيّ، فلما كان (فاعِل) بمنزلة (فَعَل) في المعنى عطف عليه فعل لموافقته إياه في المعنى" [٤].

- وفي قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢]"

(١) إبراز المعاني(ص٩٩).
(٢) السابق(ص١٢٦).
(٣) قرأ الكوفيون (جعل) فعلا ماضيا، ونصب (الليل) وقرأ الباقون (جاعل) اسم فاعل وجر (الليل) (تقريب النشر ٥١١/٢).
(٤) الحجة للقراء السبعة(٣٦٢/٣).

﴿وَضَآيِقٌ﴾ اسْمُ فَاعِلٍ مَنْ ضَاقَ، وَإِنَّمَا عُدِلَ عَنْ أَنْ يُقَالَ (ضَيِّقٌ) هُنَا إِلَى ضائِقٌ لِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ مَعَ قَوْلِهِ﴿تَارِكُ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ أَحْسَنُ فَصَاحَةً"[١].

٢ . حين نطبق النظرية الدلالية لعلمائنا القدامى، والتي تنص على أن " زِيَادَة اللَّفْظِ لِزِيَادَةِ الْمَعْنَى، وَقُوَّة اللَّفْظِ لِقُوَّةِ الْمَعْنَى"[٢]، ذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها[٣]، والتناسب في الألفاظ والمعاني حبل يتصل ولا ينفصل، وإنما نلمع منها باليسير اللطيف[٤]، يقول اللغوي البارع أحمد فارس الشدياق(١٢١٩ – ١٣٠٤ هـ):" إن كل حرف يختصّ بمعنى من المعاني دون غيره، وهومن أسرار اللغة العربية التي قلّ من تَنَبَّهَ لها"[٥]، والصاد أقوى من السين، ولعل قراءة الصاد لأن هذا الموضع يتفرد عن سائر المواضع بأنه جاء في سياق" **من كُتب عليهم القتال والخروج عن الأنفس والأموال**" [٦]، قال تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[البقرة: ٢٤٥]، ولما كان هذا النوع من القرض أثقل على الإنسان لأنه ينفق ماله ونفسه، ويفارق أرضه في سبيل الله،

(١) التحرير والتنوير(١٢/١٦).
(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٥٣٧.
(٣) الخصائص(٢/١٥٩).
(٤)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٣/٣٨١.
(٥) الساق على الساق (ص٢٣).
(٦) نظم الدرر(٣/٤٠٢).

قابله الله ببسط عظيم أقوى وأعظم من البسط العام لكل الخلق الوارد في السياقات الأخرى، مع وجود البسط العام أيضا لهم.

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ولما كانت النفقة التي هي من أعظم مقاصد السورة أوثق دعائم الجهاد، وأقوى مصدق للإيمان، ومحقق لمبايعة الملك الديان كرر الحث عليها على وجه أبلغ تشويقاً مما مضى" (١).

٣ . هذا الموضع وارد في سياق إنعام الله بالبسط لمن أقرض اللهَ . سبحانه .، ولأن المقرضين متفاوتون قلة وكثرة، إخلاصا ورياء، حبّا وكراهة، فبسطُ الله يتفاوت للناس، يعطي كلا على قدره حسب حكمته سبحانه وتعالى، وهو الحكيم في خلقه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[الشورى:٢٧]، ولهذا التنوع في البسط تنوعت القراءات قوة وضعفا في الصوت.

٤ . كما تنوعت دلالة القبض والبسط في هذا السياق دون سائر المواضع، فقال المفسرون:" ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾أَيْ: يَسْلُبُ قَوْمًا وَيُعْطِي قَوْمًا، أَوْ: يُقَتِّرُ وَيُوَسِّعُ، أَوْ: يَقْبِضُ الصَّدَقَاتِ وَيَخْلُفُ الْبَذْلَ مَبْسُوطًا، أَوْ: يَقْبِضُ أَيْ: يُمِيتُ لِأَنَّ مَنْ أَمَاتَهُ فَقَدْ قَبَضَهُ، وَيَبْسُطُ أَيْ: يُحْيِيهِ؛ لِأَنَّ مَنْ مَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ فَقَدْ بَسَطَهُ، أَوْ: يَقْبِضُ بَعْضَ الْقُلُوبِ فَلَا تَنْبَسِطُ، وَيَبْسُطُ بَعْضَهَا فَيُقَدِّمُ خَيْرًا لِنَفْسِهِ، أَوْ: يَقْبِضُ بِتَعْجِيلِ الْأَجَلِ، وَيَبْسُطُ بِطُولِ الْأَمَلِ، أَوْ: يَقْبِضُ بالحظر وَيَبْسُطُ بِالْإِبَاحَةِ، أَوْ: يَقْبِضُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ، أَوْ يَقْبِضُ يَدَ مَنْ يَشَاءُ

(١) نظم الدرر(٣/٤٠٢).

بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، وَيَبْسُطُ يَدَ مَنْ يَشَاءُ بِالْإِنْفَاقِ، أَوْ: يَقْبِضُ الصَّدَقَةَ وَيَبْسُطُ الثَّوَابَ" (١)، فهذا عام في كل شيء (٢).

وفي سياق آيات بسط الرزق " قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَعْنَى ﴿وَيَقْدِرُ﴾ هَاهُنَا يُضَيِّقُ، ... وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُعْطِيهِ بِقَدْرِ كِفَايَتِهِ لَا يَفْضُلُ عَنْهُ شَيْءٌ" (٣)، و﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾أي يجدده في كل وقت أراده بالأموال والأولاد وغيرها (٤)، وأَصْلُ الْقَبْضِ الشَّدُّ وَالتَّمَاسُكُ، وَأَصْلُ الْبَسْطِ: ضِدُّ الْقَبْضِ وَهُوَ الْإِطْلَاقُ وَالْإِرْسَالُ، وَقَدْ تَفَرَّعَتْ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى مَعَانٍ: مِنْهَا الْقَبْضُ بِمَعْنَى الْأَخْذِ ﴿**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾ [الْبَقَرَة: ٢٨٣] وَبِمَعْنَى الشُّحِّ ﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾ [التَّوْبَة: ٦٧] وَمِنْهَا الْبَسْطُ بِمَعْنَى الْبَذْلِ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ [الرَّعْد: ٢٦] وَبِمَعْنَى السَّخَاءِ ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [الْمَائِدَة: ٦٤]، وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْقَابِضُ الْبَاسِطُ بِمَعْنَى الْمَانِعِ الْمُعْطِي(٥).

وبعد أن كتبت هذا الاستنباط وقفت على كلام لأبي الفضل البخاري(ق٧هـ) يؤيد ما قلتُ، قال:"﴿وَيَبْصُۜطُ﴾بالصاد؛ لمتابعة السواد لأنها مكتوبة ههنا بالصاد، وقيل: إنما كتبت بالصاد ههنا؛ لأن معناها مخالف لنظرائها وأخواتها، وذلك أن معناها . والله أعلم .: يأخذ الصدقات، ويربيها لصاحبه، وقيل معناها: والله يخفض قوما ويرفع قوما، وقيل: يأخذ من قوم ويدفع

(١) البحر المحيط(٥٦٧/٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن(٢٤٣/٣).
(٣) مفاتيح الغيب(٣٨/١٩)، ونظم الدرر(٩٦/١٥).
(٤) نظم الدرر(٥١٤/١٥).
(٥) التحرير والتنوير(٤٨٣/٢).

إلى آخرين، فلما كان في المعنى مخالفا لمعنى أخواتها كتبت بالصاد؛ ليدل الخط على معناها"[1].

٥- أن تنوع القراءات في هذا الموضع لتنوع القرض عند الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الآية في إِنْفَاق الْمَالِ، و" لَهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَةِ مَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَاحْتجَّ عَلَيْهِ بِوَجْهَيْنِ **الْأَوَّلُ:** أَنَّهُ تَعَالَى سَمَّاهُ بِالْقَرْضِ وَالْقَرْضُ لَا يَكُونُ إِلَّا تَبَرُّعًا، **والْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ:** سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(ت٦٨هـ) . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي أَبِي الدَّحْدَاحِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ فَإِنْ تَصَدَّقْتُ بِإِحْدَاهُمَا فَهَلْ لِي مِثْلَاهَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ مَعِي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَالصِّبْيَةُ معي؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقته، ...، قَالَ: فَرَجَعَ أَبُو الدَّحْدَاحِ إِلَى أَهْلِهِ وَكَانُوا فِي الْحَدِيقَةِ الَّتِي تَصَدَّقَ بِهَا، فَقَامَ عَلَى بَابِ الْحَدِيقَةِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِامْرَأَتِهِ فَقَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ، فَخَرَجُوا مِنْهَا وَسَلَّمُوهَا، فَكَانَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يَقُولُ: كَمْ مِنْ نَخْلَةٍ رَدَاحٍ، تُدْلِي عُرُوقَهَا فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ[2]، فظَهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْقَرْضِ مَا كَانَ تَبَرُّعًا لَا وَاجِبًا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْقَرْضِ الْإِنْفَاقُ الْوَاجِبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ عَلَى قَوْلِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي آخِرِ الْآيَةِ:﴿ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ وَذَلِكَ كَالزَّجْرِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَلِيقُ بِالْوَاجِبِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: وَهُوَ الْأَقْرَبُ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ كِلَا الْقِسْمَيْنِ..." [3].

(١) الشفاء في علل القراءات (٢٥٤/١).

(٢) ينظر في سياق الحديث دون ذكر الآية: صحيح ابن حبان (٧١٥٩/١١٣/١٦)

(٣) مفاتيح الغيب(٤٩٩/٦).

٦. في كل سياقات بسط الرزق وتقديره يقدَّم البسط على مقابله، وهذه لغة القرآن؛ يقدم جانب الإعطاء، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، فلما أخر في الذكر عن مقابله جبر بقراءة الصاد تفخيما وتعظيما.

فإن قيل: من أين أخذ هذا الاستنباط؟ قيل: قياسا على ما ذكره العلماء في قول الله ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ [الشورى:٥٠] قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ولما كان الذكر حاضراً في الذهن لشرفه وميل النفس إليه لا سيما وقد ذكر به ذكر الإناث، عرف لذلك وجبراً لما فوته من التقديم في الذكر تنبيهاً على أنه ما أخر إلا لما ذكر من المعنى فقال: {**ويهب لمن يشاء الذكور** }" [(١)].

هذا، ولم ترد قراءة متواترة أو شاذة في ضوء معطيات كتب الرواية بالصاد المهملة في قوله ﴿يَقۡبِضُ﴾[(٢)]، مع ورود هذا اللفظ في اللغة بمعنى يقارب المعنى بالضاد المعجمة، فـ" القَبْص: التناول بأطراف الأصابع"[(٣)]،وهُو دُونَ القَبْضِ ... وقَالَ الفَرَّاءُ(ت٢٠٧هـ): القَبْضَةُ بالكَفِّ كُلِّهَا، والقَبْصَةُ بأَطْرَافِ الأَصَابِع [(٤)]، فالقبض إكمال الأخذ [(٥)].

(١) نظم الدرر(٣٥٥/١٧).
(٢) ينظر: المغني في القراءات (٥٢٦/١)
(٣) الصحاح (ق ب ص) (١٠٤٩/٣)
(٤) تاج العروس (ق ب ص)
(٥) نظم الدرر(٤٠٥/٣).

المطلب الثاني: حذف حرف العلة من آخر المضارع المرفوع:

الضابط اللغوي: " الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره ضمير، وهو صحيح فرفعه بالضمة، ونصبه بالفتحة، وجزمه بحذف الحركة... وإن كان آخره حرف علة، فرفعه بالضمة، ونصبه بالفتحة، وجزمه بحذف الآخر..."(١)، ويرى الحيدرة اليمني(ت٥٩٩هـ) أن من علامات رفع المضارع " السكون في كل فعل معتل اللام، مثل(هو يغزو ويرمي ويرضى)، واستعمال هذه المسألة على المجاز والتقريب للمتعلم، والمتحقق أنه لا علامة لرفع هذا الفعل، وإنما أردت أن أريك حاله مرفوعا"(٢)، ويذكرون " أن الواو والياء الساكنين في الفعل الناقص نحو (يَغْزُو وَيَرْمِي) لا يحذفان وقفاً؛ لأنه لم يثبت حذفهما في الوصل؛ لئلا يلتبس بالمجزوم إلا للضرورة أو شاذًّا"(٣).

وهذه لغة القرآن الكريم، كقوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٢١] وقوله تعالى:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]إلا في دلالات معينة، هي:

١. **دلالة صوتية تتمثل في حذف حرف العلة من المضارع المرفوع خطا ولفظا لالتقاء الساكنين**، كقوله تعالى﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]، قال الزجاج(ت٣١١هـ):" ... الخط حذفت منه الياءُ في هذا

(١) إظهار الأسرار للبركوي(ص٧٩) ضمن كتاب: متون في اللغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، وينظر: العوامل لعبد القاهر الجرجاني (ص٩٦) (الكتاب نفسه).

(٢) كشف المشكل في النحو: لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني(ت٥٩٩هـ) تحقيق: د. هادي عطية مطر، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م(١/ ٣٨٠).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب(٢/٣٠٢).

الموضع، وزعم النحويون أن الياء حذفت من الخط كما حذفت في اللفظ، لأن الياء سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في ﴿ٱللَّهُ﴾ وكذلك قوله: ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾[ق:٤١] الياء من ﴿يُنَادِ﴾حذفت في الخط لهذه العلة، وكذلك ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق:١٨]، و ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾[القمر:٦] فالواوات حذفت ههنا لالتقاءِ السَّاكنين"[١]، ويلحق بالآيات التي ذكرها الزجاج قوله تعالى ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾[الإسراء:١١]، " كُتِبَ فِي الْمُصْحَفِ ﴿وَيَدْعُ﴾ بِدُونِ وَاوٍ بَعْدَ الْعَيْنِ إِجْرَاءً لِرَسْمِ الْكَلِمَةِ عَلَى حَالَةِ النُّطْقِ بِهَا فِي الْوَصْلِ كَمَا كُتِبَ ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[العلق:١٨] وَنَظَائِرُهَا"[٢]، والوقف على هذا وأمثاله بغير واو لجميع القراء؛ موافقة للرسم؛ لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية أتبعت وإن خالفت الرسم أو الأصل، وما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم وإن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود في كلام العرب كالوال و﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾[الرعد:٩]من أسمائه الحسنى [٣].

وإن رأوا دلالة في هذا الحذف تتمثل في" التَّنْبِيه على سرعَة وُقُوع الْفِعْل، وسهولته على الْفَاعِل، وَشدَّة قبُول المنفعل المتأثر بِهِ فِي الْوُجُود"[٤]، أو أن المعنى في موضع سورة العلق –والله أعلم – " أن لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم في ذواتهم يستعان بهم بسببها؛ لأن معنى الواو عند الربانيين العلو والرفعة، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوي العزيز.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(١٢٥/٢).
(٢)التحرير والتنوير(٤٣/١٥) .
(٣) نظم الدرر(٩٩/١٩)
(٤)الكليات(٣٨٩) .

أو يقال: إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالأمر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لا بد من إيقاع مضمونه، ومن إجابة المدعوين إلى ما دعوا إليه، وأن ذلك كله يكون على غاية الإحكام، والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام، لا سيما مع التأكيد بالسين، الدال على تحتم الاتحاد والتمكين.

أو يكون المعنى: إنا ندعوهم بأيسر دعاء وأسهل أمر، فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطاع دفاعه بوجه، فكيف لو أكدنا دعوتهم وقوينا عزمتهم"[1] .

وجاء الفعل (يؤتي) نظير ما في الآية الأولى بإثبات الياء في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٦٩] فما الفرق بينهما؟[2]

---

(١)نظم الدرر (١٧١/٢٢) .

(٢) كما أن هذا الفعل جاء في جميع مواضع الرفع بإثبات الياء:﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٤٧] ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٧٣]﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ﴾ [النساء:١٥٢] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [المائدة:٥٤]﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [الحديد:٢١][الجمعة:٤] ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [الحديد:٢٩] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:١٨]

ومثلها نظائر الأفعال التي ذكرها الزجاج جاءت بالإثبات ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ﴾ [آل عمران:١٩٣] ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام:٧١] ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ [الجاثية:٢٨]﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج:١٧] ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ۚ﴾ [يوسف:١٠٨]﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٦]﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ [مريم:٤٨]﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ [الجن:٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة:٢٢١] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس:٢٥]﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ۚ﴾ [الحج:١٢]﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ =

أقول: لعل الحذف رسما في قوله ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦] لقوة الاتصال بين الفعل والفاعل، وأما قوله ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٦٩] فلأن بعدَ الفعل مفعول به، وليس في قوة اتصال الفاعل بالفعل، فجاء بالإثبات على الأصل.

٢ . **دلالة صوتية تتمثل في توافق الفواصل،** قال الزجاج(ت٣١١هـ):" فأما ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤]فحذفت الياء لأنها رَأسُ آية، ورُؤُوس الآي الحذف جائز فيها كما يجوز في آخر الأبيات"(١).

قال أبو الفضل البخاري(ق٧هـ):" فإن قلت: ما وجه مذهب الكسائي في إثباته الياء في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾وفي قوله ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف:٦٤]، وفي حذفها من قوله ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤] وهذه أفعال كلها والياء في الجميع لام الفعل؟ قلت: لأن قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾و﴿نَبْغِ﴾، يقع بحذف الياء منهما لَبْسٌ؛ لأنها تُحذف للجزم في مثل هذا الفعل، وتحذف للتخفيف، فلو حذفتها فيهما لتوهم متوهِّم أنها حذفت فيهما للجزم، فأما قوله ﴿إِذَا يَسْرِ﴾فهو آخر آية، والحذف في آواخر الآي أحسن"(٢).

=

مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج:١٣]﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ [فاطر:٦]﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر:٨]﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٥]﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ [الصف:٧]﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١١]

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(١٢٥/٢).

(٢) الشفاء في علل القراءات (٦٤٩/١).

وهناك موضعان للمضارع المعتل الآخر المرفوع حذف منه حرف العلة دون أن يكون في واحد من السياقين السابقين مع وجود نظائر لهما على الإثبات:

أولهما: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥] حيث تنوعت القراءات المتواترة في هذا الفعل، فأَثْبَت الياء" وَصْلًا الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ، وَأَثْبَتَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ فِي الْحَالَيْنِ، وَحَذَفَهَا الْبَاقُونَ فِي الْحَالَيْنِ" [(١)]، وباقي سياقات القرآن لهذا الفعل مرفوعا بالإثبات دون خلاف بين القراء، وهذه سياقاته: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤] ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف:٥٣] ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ [الرعد:٤١]﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل:١١١] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٤] ﴿أَفَمَن

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٩٢).

يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠] ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦]

فما دلالة تنوع القراءات في موضع سورة هود دون نظائره مع أن القاعدة النحوية واحدة؟

وإذا كان هذا الموضع في سياق الحديث عن يوم القيامة، فما الفرق بينه وبين قوله تعالى . على سبيل المثال . ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١]؟

لما كان موضع سورة هود لم يأت وفق القاعدة اللغوية المتفق عليها، وجدنا العلماء بداية من القرن الثاني الهجري يلتمسون دلالات لغوية لهذه المخالفة:

أ - **فمنهم من ذكر أنه وجه استعمالي للعرب،** " قَالَ الْخَلِيل(ت١٧٥هـ): إِن الْعَرَب تَقول (لَا أدرِ) فتحذف الْيَاء وتجتزئ بِالْكَسْرِ؛ إِلَّا أَنهم يَزْعمُونَ أَن ذَلِك لِكَثْرَة الِاسْتِعْمَال؛ والأجود فِي النَّحْو إِثْبَات الْيَاء"(١).

وقال الفراء(ت٢٠٧هـ):" قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ ﴾[هود:١٠٥] كتب بغير الياء وهو فِي موضع رفع، فإن أثبتَّ فِيهِ الياء إذا وصلت القراءة كَانَ صَوَابًا، وإن حذفتها فِي القطع والوصل كان صوابا، قد قرأ بذلك القرّاء فمن حَذفها إذا وصل قَالَ: الياء ساكنة، وكلّ ياء أو واو تسكنَان وما قبل الواو مضموم وما قبل الياء مكسور فإن العرب تحذفهما وتَجتزئ بالضمة من الواو، وبالكسرة من الياء، وأنشدَ فِي بعضُهم:

كفَّاكَ كفٌّ ما تُليق دِرْهمًا جُودًا وأخرى تُعطِ بالسيفِ الدَّمَا(٢)

(١) حجة القراءات(ص٣٤٩).

(٢) الرجز دون نسبة في جامع البيان للطبري(٤٧٩/١٥) وإعراب القرآن للنحاس(١٨٣/٢)، =

ومَن وصل باليَاء وسكتَ بِحذفها قَالَ: هِيَ إذا وَصلتُ فِي موضع رفعفأثبتها، وهي إذا سَكتُّ عليها تسكن فحذفتها، كما قيل:(لَمْ يَرْم ولم يَقض) ومثله قوله: ﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾[الكهف:٦٤] كُتبت بحذف الياء فالوجه فيها أن تثبت الياء إذا وصَلت وتحذفها إذا وقفت، والوجه الآخر أن تَحذفها فِي القطع والوصل، قرأ بذلك حمزة، وهو جائز" [(١)].

ب . **ومنهم من جعله استعمالا لهجيا خاصا**، فذكروا أن " **حَذْف الْيَاءِ وَالِاجْتِزَاء عَنْهَا بِالْكَسْرَةِ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ هُذَيْلٍ**"[(٢)]، وبناء على هذا فالحذف والإثبات" لغتان"[(٣)]، قال الزجاج(ت٣١١هـ):" وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثِيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العربَ تقول (لا أدْرِ) فتحذف الياء وتجتزي بالكسْرِ، إلا أنَّهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال، والأجود في النحو إثبات الياء، والذي أراه اتباع المصحف مع إجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب"[(٤)].

=

معناه: ما تُمسك، تقول: فلان ما يليق بكفه درهم –من مثال باع يبيع– أي ما يحتبس وما يبقى في كفّه، وتقول فلان ما يليق درهمًا –من مثال أنال ينيل– أي ما يحتبس وما يبقى درهمًا أيضًا، والأصل في: تعطِ: تعطي، فاكتفى بالكسر من الياء.

(١) معاني القرآن للفراء(٢/٢٧).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥/٤٧٩) وسر صناعة الإعراب (٢/١٧٧) ومفاتيح الغيب (١٨/٣٩٨) و الصحاح (أ ت ي) (٦/٢٢٦٢) و النشر في القراءات العشر(٢/٢٩٢) وزاد المسير(٢/٤٠٠) والدر المصون(٦/٣٨٧) وإبراز المعاني(ص٣٠٦).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي(٥/١٨٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/٧٧).

وذكروا أن دلالة هذا الحذف " **التخفيف**" [١]، و" أنه اكتفى بالحركة من الحرف"[٢]، وسببه " **كثرة الاستعمال**" [٣]، وعنون له ابن جني بقوله" **باب في إنابة الحركة عن الحرف**، والحرف عن الحركة، الأوّل منهما: أن تحذف الحرف وتقرّ الحركة قبله نائبة عنه، ودليلة عليه..." [٤].

وذكروا في توجيه القراءات الثلاث الواردة في موضع سورة هود أن وجه حذف الياء" في الوقف التشبيه بالفواصل، وإثباتها في الوجهين هو الأصل، ووجه حذفها في الوصل التخفيف"[٥]، أو أن " من حذف في الحالين اتبع الخط، وهو الأولى من طريق اتباع السلف لا في العربية"[٦]، ودلالة رسمها بحذف الياء الياء التخفيف[٧]، والإيجاز والاختصار[٨].

لكن هذا الكلام يمكن مناقشته في ضوء النقاط الآتية:

١ . أن يكون هذا التنوع الأدائي والرسمي تنوعا لهجيا، أمرا مقبولا، حيث إن **"القرآن نزل بلغات العرب"** [٩] كتابة ونطقا، و" هَذَا الْقُرْآن نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بِحَضْرَةِ رِجَالٍ وَبَيْنَ ظَهَرَانَيْ قوم كانوا أَحْرَصَ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَجِدُوا فيه مغمزا، وَعَلَيْهِ مَطْعَنًا، فَلَوْ كَانَ هَذَا عِنْدَهُمْ مُنَاقَضَةً

(١) المحرر الوجيز لابن عطية(٢٠٧/٣) و البحر المحيط(٢٠٩/٦).
(٢) الخصائص(٣٢٠/٢).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٧٧/٣).
(٤) الخصائص(٣٥٨/٢).
(٥) المحرر الوجيز لابن عطية(٢٠٧/٣) و البحر المحيط(٢٠٩/٦) .
(٦) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٤٠٤/١) .
(٧) نثر المرجان في رسم نظم القرآن(١٩١/٧) .
(٨) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٤٠٤/١) .
(٩)معاني القراءات للأزهري(ص١٢٩).

لَتَعَلَّقُوا بِهِ، وَأَسْرَعُوا بِالرَّدِّ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ الْقَوْمَ عَلِمُوا "[1]، وإن ردّه النحاس(ت٣٣٨هـ) بقوله" وَأَمَّا حُجَّتُهُ بِقَوْلِهِمْ:(مَا أَدْرِ) فَلَا حُجَّةَ فِيهِ، لِأَنَّ هَذَا الْحَذْفَ قَدْ حَكَاهُ النَّحْوِيُّونَ الْقُدَمَاءُ، وَذَكَرُوا عِلَّتَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، والعلّة فيه عند سيبويه(ت١٨٠هـ) . وإن كان سيبويه حكى: (لا أدري) . كثرة الاستعمال..."[2]، لكن يبقى سؤال: **<u>هل من دلالة لاصطفاء هذا الأداء القرائي والرسمي و اللهجي في هذا الموضع دون سائر نظائره؟</u>**

٢ . ما ضابط كثرة الاستعمال؟ ولماذا التخفيف في هذا الموضع دون نظائره؟

٣ . البيت الذي احتج به الفراء(ت٢٠٧هـ) في معانيه حمله بعض العلماء على الضرورة الشعرية[3].

٤ . ما يجب أن يعد اتباع خط المصحف حجة للقراءة؛ إذ الأداء القرائي سابق للخط.

٥ . لماذا حمل الحذف هنا على التشبيه بالفواصل دون سائر المواضع؟ فهذا الموضع مع أنه ليس فاصلة لم يعده أحد من علماء الوقف وقفا حتى يعد شبه فاصلة [4]، <u>لأن الكلام لم يتمّ</u> في قوله: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ**﴾.

لقد أبان أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) عن دلالة القول بشبه الفاصلة، فقال:" فأما قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود:١٠٥] فإنه يحتمل ضربين، يجوز أن يكون حالا من الذكر الذي في﴿ **يَأْتِ**﴾ ويحتمل أن يكون صفة لليوم

(١)الإتقان في علوم القرآن(٩٨/٣) ومعترك الأقران في إعجاز القرآن(٨١/١).

(٢) إعراب القرآن للنحاس(١٨٣/٢).

(٣) ضرائر الشعر لابن عصفور(ص١٢١) وما يجوز في الشعر للضرورة(ص٣٣٠).

(٤) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء(ص١٠١) والوقف والابتداء لابن الغزال(١٥٠/٢) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي(٤١٠/٢) ووصف الاهتداء في الوقف والابتداء (ص٢٧٩) ومنار الهدى(ص٣٨٥).

المضاف إلى ﴿يَأْتِ﴾؛ لأن اليوم في ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾مضاف إلى الفعل، والفعل نكرة، فإذا كان كذلك لم يمتنع أن يوصف به اليوم كما توصف النكرات بالجمل من الفعل والفاعل، والمعنى: لا تكلّم فيه نفس، فحذف فيه، أو حذف الحرف، وأوصل الفعل إلى المفعول به، ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصّلة، ومثل ذلك قولهم: الناس رجلان: رجل أكرمت، ورجل أهنت، فإذا جعلته حالا من الضمير الذي في﴿ يَأْتِ﴾، وجب أن تقدّر فيه أيضا ضميرا يرجع إلى ذي الحال، وتقديره: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾[هود:١٠٥]، أي: غير متكلّم فيه نفس، فيكون الضمير المقدّر المحذوف يرجع إلى الضمير الذي في ﴿ يَأْتِ﴾؛ لأنّ الحال لا بدّ فيه من ذكر يعود إلى ذي الحال متى كانت جملة، كما لا بد من ذلك في الصفة، ومن قدّره حالا كان أجدر بأن تحذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾ لأنه كلام مستقلّ، فيشبه من أجل ذلك الفواصل، وإن لم يكن فاصلة، كما أنّ حذف الياء من قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[الكهف:٦٤]، لما كان كلاما تامّا فأشبه الفاصلة، فحسن الحذف له، كما يحسن الحذف من الفواصل، وإن جعلته صفة لم يمتنع ذلك معها أيضا، لأن الصفة قد يستغني عنها الموصوف، كما أن الحال كذلك، إلا أنّ من الصفات ما لا يحسن أن يحذف منه، فذلك أشبه بغير الكلام التام "[(١)].

أو يكون شبه الفاصلة بناء على الأصل التركيبي للجملة القرآنية، " فَقَوْلُهُ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾وَجُمْلَةُ ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾مُسْتَأْنَفَةٌ ابْتِدَائِيَّةٌ، قُدِّمَ الظَّرْفُ عَلَى فِعْلِهَا .." [(٢)]، وكأن تركيب الجملة قبل

(١) الحجة للقراء السبعة(٤/٣٧٥).

(٢) التحرير والتنوير(١٢/١٦٤).

التقديم: لا تتكلم نفس إلا بإذنه يوم يأتي، فقوله (يأت) على هذا شبه فاصلة، فهذه الجملة وقف تام عند الإمام نافع(ت١٦٩هـ) [١].

فَإِنْ قِيلَ: لِمَ كَانَ الِاخْتِيَارُ أَنْ تُحْذَفَ الْيَاءُ إِذَا كَانَ فِي فَاصِلَةٍ أَوْ قَافِيَةٍ، وَالْحَرْفُ مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَثْبُتَ كَمَا أُثْبِتَ سَائِرُ الْحُرُوفِ وَلَمْ يُحْذَفْ؟ أَجَابَ أَبُو عَلِيٍّ(ت٣٧٧هـ) فَقَالَ: الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ وَالْقَوَافِيَ مَوْضِعُ وَقْفٍ، وَالْوَقْفُ مَوْضِعُ تَغْيِيرٍ، فَلَمَّا كَانَ الْوَقْفُ تَغَيَّر فِيهِ الْحُرُوفُ الصَّحِيحَةُ بِالتَّضْعِيفِ وَالْإِسْكَانِ وَرَوْمُ الْحَرَكَةِ فِيهَا غيَّرَتْ هَذِهِ الْحُرُوف الْمُشَابِهَةَ لِلزِّيَادَةِ بِالْحَذْفِ[٢].

وهكذا تتابعت أقوال العلماء في توجيه هذا الموضع الذي لم يأت وفق القاعدة اللغوية المتفق عليه . فيما وصل إلينا . إلى أن جاء القرن التاسع فرأينا العلامة البقاعي (ت٨٨٥هـ) يشير إلى دلالة هذا الحذف من خلال السياق، فقال:" وكان ذلك إشارة إلى أن شدة هوله تمنع أهل الموقف الكلام أصلاً في مقدار تثنيه، ثم يؤذن لهم في الكلام في الثلث الآخر بدلالة المحذوف، وقرينة الاستثناء، فإن العادة أن يكون المستثنى أقل من المستثنى منه **{لا تكلم}** ولو أقل كلام بدلالة حذف التاء"[٣]، لكن العلامة البقاعي لم يشر إلى دلالة تنوع القراءات بين إثبات الياء وحذفها في هذا الموضع دون سائر المواضع التي ورد فيها هذا الفعل مرفوعا، ويمكننا أن نستنبط بعض الدلالات لهذا الموضع دون نظائره:

(١) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء(٢/٤١٠).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي(٣١/١٥١).

(٣)نظم الدرر(٩/٣٨٠) .

أ . السياق اللفظي اللاحق في الآية يتسق مع هذا الحذف، فقوله﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. الْأَصْلُ (تَتَكَلَّمُ)، حُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ تَخْفِيفًا.

. وَفِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ لَا تَتَكَلَّمُ فِيهِ نَفْسٌ إِلَّا بِالْمَأْذُونِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُمْ مُلْجَئُونَ إِلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَا تَكَلَّمُ بِحُجَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقِيلَ: إِنَّ لَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ وَقْتًا يُمْنَعُونَ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا بِإِذْنِهِ(١).

ب . هذا الموضع الوحيد من مواضع ذكر فعل الإيتاء الذي تنوعت دلالة (اليوم) فيه فقد "فُسِّرَتْ كَلِمَةُ ﴿يَوْمَ﴾ فِي الْآيَةِ بِالْوَقْتِ الْمُطْلَقِ، أَيْ: غَيْرِ الْمَحْدُودِ؛ لِأَنَّهُ ظَرْفٌ لِلْيَوْمِ الْمَحْدُودِ الْمَوْصُوفِ بِمَا ذُكِرَ الَّذِي هُوَ فَاعِلٌ ﴿يَأْتِ﴾ وَبَعْضُهُمْ جَعل ﴿يَوْمَ﴾ ظَرْفًا لِلْيَوْمِ، فَقَالُوا: الْمَعْنَى يَوْمَ يَأْتِي جَزَاؤُهُ أَوْ هَوْلُهُ، أَوِ اللهُ – تَعَالَى –، وَاسْتَشْهَدُوا لِلْأَخِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]..." (٢).

ج . لعل تنوع القراءات في هذا الموضع يشير إلى" أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمٌ طَوِيلٌ وَلَهُ مَوَاقِفُ، فَفِي بَعْضِهَا يُجَادِلُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَفِي بَعْضِهَا يَكُفُّونَ عَنِ الْكَلَامِ، وَفِي بَعْضِهَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَتَكَلَّمُونَ، وَفِي بَعْضِهَا يَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ " (٣).

د . تنوع القراءات بين الحذف والإثبات يشير إلى تنوع حال الناس في هذا اليوم طولا وقصرا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

(١) الجامع لأحكام القرآن(٩٦/٩).
(٢) تفسير المنار(١٣٠/١٢).
(٣) مفاتيح الغيب(٣٩٨/١٨).

«يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يُهَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»(١).

فإن قيل: لماذا سورة هود دون غيرها؟ قيل: لما ورد فيها من السنة الصحيحة، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ شِبْتَ، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»(٢) وعن ابْن عُمَرَ . رضي الله عنهما . قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، " وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَسُورَةَ هُودٍ "(٣).

هـ . كما أن السياق هنا ذكر تنوع الناس إلى سعداء وأشقياء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٦]﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود:١٠٨]

و . يتوافق هذا الاستعمال اللهجي مع السياق اللاحق لهجيا، حيث ورد في قوله تعالى:﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[هود:١٠٨] قراءتان متواترتان " فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ﴿سُعِدُواْ﴾ بِضَمِّ السِّينِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا" (٤)، فضم السين" عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلنَّائِبِ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ فِعْلِهِ قَاصِرًا لَا مَفْعُولَ لَهُ لَكِنَّهُ عَلَى مُعَامَلَةِ الْقَاصِرِ مُعَامَلَةَ الْمُتَعَدِّي فِي مَعْنَى فُعِلَ بِهِ مَا صَيَّرَهُ صَاحِبَ

(١) حديث صحيح أخرجه ابن حبان في صحيحه(٧٣٣٣/٣٢٨/١٦).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٧٩٠/٢٨٦/١٧).
(٣) إسناده حسن، أخرجه أحمد في مسنده(٤٩٣٤/٥٢٨/٨).
(٤) تقريب النشر في القراءات العشر(٥٥٠/٢).

ذَلِكَ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِمْ: جُنَّ فُلَانٌ، إِذَا فُعِلَ بِهِ مَا صَارَ بِهِ ذَا جُنُونٍ فَ سُعِدُوا بِمَعْنَى أُسْعِدُوا، وَقِيلَ: سَعِدَ مُتَعَدٍّ فِي لُغَةِ هُذَيْلٍ وَتَمِيمٍ، يَقُولُونَ: سَعِدَهُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَسْعَدَهُ" [١]، فدلالة اصطفاء هذا الفعل على لغة هذيل " توخيا لحسن الجوار "[٢]، وهو ما عبر عنه سيبويه(ت١٨٠هـ) بقوله " أن يكونَ آخِرهُ على أوّله أولى"[٣]، والعرب تفعل ذلك فتقول: (هذا حُجْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) والخرب نعت الحُجر لا نعت الضبِّ، ولكن الجوار عمل عليه [٤].

فإن قيل: فما تقول في اتفاق القراءات في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل:١١١]؟ قيل: السياق ناطق بالتوفية، فـ" الْمَعْنَى: تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَتْ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ وَلَا نُقْصَانٍ"[٥]، وعبر بالمجادلة إفهاماً للدفع بأقصى ما تقدر عليه،[٦] ﴿وَتُوَفَّىٰ﴾ تُعْطَى شَيْئًا وَافِيًا،...، وَإِظْهَارُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِتَكُونَ الْجُمْلَةُ مُسْتَقِلَّةً فَتَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ[٧].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[الكهف:٦٤] ونظيره الوارد وفق القاعدة المتفق عليها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ

(١) التحرير والتنوير(١٢/١٦٦).
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(١/٢٩١).
(٣) الكتاب(١/٦٧).
(٤) فقه اللغة وسر العربية(ص٢٢٤).
(٥) مفاتيح الغيب(٢٠/٢٧٨).
(٦) نظم الدرر(١١/٢٦٣).
(٧) التحرير والتنوير(١٤/٣٠٢).

﴿إِلَيۡنَآ﴾ [يوسف:٦٥]، وقد تنوعت القراءات المتواترة في موضع سورة الكهف، فأثبت الياء" وَصْلًا الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ، وَفِي الْحَالَيْنِ ابْنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ"(١)، وحذفها الباقون وصلا ووقفا، واتفقوا على الإثبات وصلا ووقفا في موضع سورة يوسف.

وقد ذكر اللغويون تعليلات لموضع سورة الكهف، فقال الزجاج (ت٣١١هـ):" فهذه الياءاتُ من نحو ﴿نَبۡغِۚ﴾[الكهف :٦٤] حذفت لأن الكسرة دلت على الياء فحذفت الياء لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حَذْفها"(٢)، ويرى الزجاج أن إثبات الياء" أقوى في العربية" (٣)،" وكان مِنْ حَقِّها الثبوتُ، وإنما حُذِفت تشبيهاً بالفواصلِ" (٤).

وأشير إلى أن الدرس الحديث لا يرى حذفا للحرف، وإنما هو تقصير الحركة القصيرة، وبرهان ذلك المقاطع الصوتية للكلمة الكريمة في سورتيها.

ـ قال الرازي(ت٦٠٦هـ):" وَقَوْلُهُ ﴿نَبْغِۚ﴾ أَصْلُهُ نَبْغِي، فَحُذِفَتِ الْيَاءُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ لِدَلَالَةِ الْكَسْرَةِ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ لَا يُحْذَفَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَحْذِفُونَ الْيَاءَ فِي الْأَسْمَاءِ وَهَذَا فِعْلٌ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ عَلَى ضَعْفِ الْقِيَاسِ حَذْفُهَا؛ لِأَنَّهَا تُحْذَفُ مَعَ السَّاكِنِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَهَا كَقَوْلِكَ مَا نَبْغِي الْيَوْمَ؟ فَلَمَّا حُذِفَتْ مَعَ السَّاكِنِ حُذِفَتْ أَيْضًا مَعَ غَيْرِ السَّاكِنِ"(٥)

(١) النشر في القراءات العشر(٢/٣١٦)
(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/١٢٥).
(٣) السابق(٣/٣٠٠)
(٤) الدر المصون(٧/٥٢٤)
(٥)مفاتيح الغيب(٢١/٤٨١).

وقِيلَ: أَرَادَ الْكَاتِبُونَ مُرَاعَاةَ حَالَةِ الْوَقْفِ؛ لِأَنَّ الْأَحْسَنَ فِي الْوَقْفِ عَلَى يَاءِ الْمَنْقُوصِ أَنْ يُوقَفَ بِحَذْفِهَا، **وَقِيلَ:** أَرَادُوا التَّنْبِيهَ عَلَى أَنَّهَا رُوِيَتْ مَحْذُوفَةً فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْعَرَبُ يَمِيلُونَ إِلَى التَّخْفِيفِ[(١)]، **وقيل:** على لغة هذيل يجتزون بالكسرة عن الياء[(٢)].

وكل هذه الأقوال تتنزل على موضع سورة يوسف . أيضا . إلا أنه يمكننا أن نتلمس بعض الفروق اللغوية بين الموضعين:

١ـ دلالة ﴿مَا﴾في الموضعين، فهي في سورة الكهف " **مَوْصُولَةٌ،** وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ أَيْ نَبْغِيهِ" [(٣)]، وفي سورة يوسف فيها وجهان: **أظهرهما:** أنها استفهاميةٌ فهي مفعولٌ مقدمٌ واجبُ التقديم؛ لأن لها صدرَ الكلام، أي: أيَّ شيءٍ نبغي؟، **والثاني:** أَنْ تكونَ نافيةً ولها معنيان، **أحدهما:** ما بقي لنا ما نطلب، **والثاني:** ما نبغي، من البغي، أي: ما افْتَرَيْناه، ولا كَذَبْنا على هذا المَلِكِ في إكرامه وإحسانه [(٤)].

٢ . الدلالة المعجمية للفعل، فمعنى قول موسى . عليه السلام .: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ [الكهف:٦٤]، أي ما كنا نريد [(٥)]، "و بَغَى يَبْغِي بَغْياً: كَذَبَ؛ وَبِه فُسِّر قَوْلُه قَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ [يوسف:٦٥]، أَي مَا نَكْذِبُ وَمَا نَظْلِم فَمَا على هَذَا جَحْد، ويَجوزُ أَنْ يكونَ مَا نَطْلُبُ، فَمَا على

(١) التحرير والتنوير(٣٦٨/١٥)
(٢) منار الهدى(ص٤٧١)
(٣) البحر المحيط(٢٠٣/٧)
(٤) الدر المصون(٥١٩/٦)
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣٠٠/٣)

هَذَا اسْتِفْهام" [1]، ونظير الدلالة الأولى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] أي يتعدى ويستطيل بعضهم عالياً على بعض[2].

٣ . وبناء على تنوع دلالة (ما) في هذا الموضع تنوع الوقف والابتداء، قال الغزال(ت٥١٦هـ):" ﴿مَا نَبْغِى﴾حسنٌ إذا جعلت ﴿مَا﴾نفيا، التقدير: يا أبانا ما نبغي منك شيئا، أي: لا نبغي دراهمك، وإن جعلت﴿مَا﴾استفهاما تقديره: أيّ شيء نبغي وهذه بضاعتنا ردت إلينا؟، فلا يحسن الوقف على ﴿نَبْغِى﴾ وقال نُصَيرٌ [3]: ﴿مَا نَبْغِى﴾وقف تامٌ، كأنه اختار الوجه الأول" [4]،وقال بعضهم: إن مع ﴿نَبْغِى﴾ فاء محذوفة، فيصير التقدير ما نبغي، فهذه بضاعتنا ردّت إلينا، فلا يحسن الوقف على ﴿نَبْغِى﴾، لأن قوله: ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾توضيح لقولهم ﴿مَا نَبْغِى﴾، فلا يقطع منه [5].

ودلالة الوقف في السياق يوضحها البقاعي(ت٨٨٥هـ) بقوله:" **{قالوا}** أي لأبيهم ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا﴾أي أي شيء ﴿نَبْغِى﴾ أي نريد، فكأنه قال لهم: ما الخبر؟ فقالوا بياناً لذلك وتأكيداً للسؤال في استصحاب أخيهم: ﴿هَٰذِهِۦ

(١) تاج العروس(ب غ ي)

(٢) نظم الدرر(١٦/٣٦٠).

(٣) نصير بن يوسف بن أبي نصر، أبو المنذر الرازي ثم البغدادي النحوي، أستاذ كامل ثقة، أخذ القراءة عرضا عن الكسائي وهو من جلّة أصحابه وعلمائهم ... كان من الأئمة الحذّاق لا سيما في رسم المصحف وله فيه تصنيف... وكان ضابطا عالما بمعنى القراءات ونحوها ولغتها، مات في حدود الأربعين ومائتين (غاية النهاية٢/٣٤٠).

(٤) الوقف والابتداء لابن الغزال(٢/١٦٧)

(٥) منار الهدى(ص٣٩٤)

بِضَٰعَتَنَا﴾ثم بينوا مضمون الإشارة بقولهم: ﴿رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾هل فوق هذا من إكرام" [١] .

وأما موضع سورة الكهف، فوقف تام عند الأخفش(ت٢١٥هـ) وأبي حاتم(ت٢٥٥هـ) واختيار ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ) والداني(ت٤٤٤هـ) وحسن عند ابن الغزال(ت٥١٦هـ) [٢]،

وقال النكزاوي(ت٦٨٣هـ):" ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ تام عند الأخفش وأبي حاتم، وهو قول سيبويه، إلا أن سيبويه جعله رأس آية، قال أبو جعفر: قلت لأبي إسحاق: لم يعد أحد هذه آية، قال: قد عدّها سيبويه"[٣]، والمراد بقوله (إلا أن سيبويه جعله رأس آية" ما قاله سيبويه(ت١٨٠هـ): " وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يُختار فيه أن لا يُحذف، يحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر:٤] و﴿مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ [الكهف:٦٤]، و ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر:٣٢]، و ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد:٩]، والأسماء أجدر أن تحذف ؛ إذ كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي"[٤]، أراد سيبويه أن الفواصل والقوافي، يُحذف فيها من الياءات ما لا يحذف في غير الفواصل والقوافي، وذلك أن ما فيه الياء من الأفعال نحو (يرمي ويقضي) لا تحذف منه الياء إلا في آخر آية أو في آخر بيت، فهذا الذي لا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف هو ما فيه الألف واللام من هذه الأسماء التي في

(١) نظم الدرر(١٠/١٥٤)

(٢) ينظر: القطع والائتناف(ص٤٤٩) والإيضاح في الوقف والابتداء(٢/٧٥٩) والمكتفى (ص٣٧١) ومنار الهدى(ص١٧١) والوقف والابتداء لابن الغزال(٢/٢٦٨).

(٣) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء(٣/٣٣).

(٤) الكتاب(٤/١٨٥).

أواخرها الياء نحو (الرامي والغازي) وما أشبههما، لا تحذف منها الياء إلا في آخر آية أوفي آخر بيت.

وقوله: (والأسماء أجدر أن تحذف، إذ كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي) يقول: الأسماء التي فيها الألف واللام أجدر أن تحذف من أواخرها الياءات، إذ كانت الياءات فيها قد تحذف قبل دخول الألف واللام عليها في الوقف، في غير الفواصل والقوافي. نحو (هذا قاض، ومررت برام) والفعل المعتل من هذا الباب، ليس له مكان تحذف فيه الياء في غير الفواصل والقوافي، فكان حذف الياء مما فيه الألف واللام أحسن من حذفها من الفعل(١)، وأرى أن سيبويه لم يقصد عدها آية، لأن الْآيَات عِلْمٌ تَوْقِيفِيٌّ (٢)، وإنما اعتبر" الْفَاصِلَةَ كل جملَة تَّم بِهَا الْكَلَامُ" (٣)، "فإذا وقع الواو والياء في الفواصل وصلا جاز حذفهما والاجتزاء بحركة ما قبلهما، كقوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾[الفجر:٤]، وذلك لمراعاة التجانس والازدواج، فيجب إذن بناء على ذلك حذفهما إذا وقفت على تلك الفواصل المحذوفة اللامات في الوصل"(٤).

٤ . فالفرق أنَّ «ما» في سورة الكهف موصولةٌ فحُذِفَ عائدُها، والحذفُ يُؤْنِسُ بالحذف، وهذه عبارة مستفيضة عند أهلِ هذه الصناعةِ يقولون: التغيير

(١) شرح أبيات سيبويه(٢/٢٩٦)

(٢) الكشاف(١/٣١) والتحرير والتنوير(١/٧٤) قال الزمخشري:" فإن قلت: ما بالهم عدوّا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور" .

(٣) التحرير والتنوير(١٥/٢١٦)

(٤) شرح شافية ابن الحاجب(٢/٣٠٢).

يُؤْنس بالتغيير بخلافها في سورة يوسف فإنها: إمَّا استفهاميةٌ، وإمَّا نافيةٌ، ولا حَذْفَ على القولين حتى يُؤْنَس بالحذف [١].

٥ . الجملتان في سورة يوسف قولان لقائل واحد ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[يوسف:٦٥] أقصد جملة النداء وجملة الإشارة، والجملتان في سورة الكهف، قولٌ وفعلٌ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[الكهف:٦٤] فعده شبه فاصلة "لتمام قول أحدهما وابتداء فعلهما"[٢].

ونلاحظ هنا أن اللغويين فسروا حذف الياء وإثباتها، ولم يذكروا علة تنوع القراءات في سورة الكهف دون سورة يوسف، ويمكن أن نقول: قراءة الإثبات تدل على الأصل اللغوي لهذا التركيب، وقراءة الحذف تتوافق مع دلالة حذف عائد (ما) الموصولة، والحذفُ يُؤْنِسُ بالحذف، كما أن الحذف فيه إشارة إلى غياب ما كان يبغيه نبي الله موسى . عليه السلام . وفتاه، " أي نريد من هذا الأمر المغيب عنا، فإن الله تعالى جعله موعداً لي في لقاء الخضر " [٣].

(١) الدر المصون(٥١٩/٦)

(٢) علل الوقوف(٦٦٧/٢).

(٣) نظم الدرر(١٠٥/١٢)

المطلب الثالث: إثبات حرف العلة في آخر المضارع المجزوم:

الضابط اللغوي: " الفعل المضارع إن كان آخره حرف علة، فرفعه بالضمة، ونصبه بالفتحة، وجزمه بحذف الآخر..."(١)، ويذكر الحيدرة اليمني(ت٥٩٩هـ) أن " الحذف قطع الحرف، وهو يكون في نوعين:

أحدهما: معتل اللام بالواو والياء والألف جميعا، نحو: لم يغزُ، ولم يرضَ، ولم يرمِ، قال الله تعالى ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[التوبة:١٨] تحذف اللام، وتبقى الحركة التي قبله لتدل عليه ضمةً على الواو، وكسرةً على الياء، وفتحة على الألف.

والثاني: الفعل الذي رفعه بثبات النون، نحو: لم يقوما ... قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[البقرة:٢٤] فحذف النون ولا يبقى عليها دليل؛ لأنها ليست من نفس الكلمة"(٢)،

ولغة القرآن وقراءاته المتواترة تتوافق معها هذه القاعدة، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٤٨] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٦١] ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف:٩٣] ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل:٧٦] ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:٧٤] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨] ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) إظهار الأسرار للبركوي(ص٧٩) ضمن كتاب: متون في اللغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، وينظر: العوامل لعبد القاهر الجرجاني (ص٩٦) (الكتاب نفسه).

(٢) كشف المشكل في النحو: لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني (٣٨٢/١).

أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦] ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ [الأحزاب: ٢٠] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠]

إلا في ثلاثة مواضع تنوعت فيها القراءات المتواترة:

١ـ قوله تعالى: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] " اخْتَلَفُوا فِي: ﴿ يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ ﴾فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ بِالنُّونِ فِيهِمَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ فِيهِمَا بِالْيَاءِ، وَكَسَرَ الْعَيْنَ مِنْ ﴿ يَرْتَعْ ﴾ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَثْبَتَ قُنْبُلٌ الْيَاءَ فِيهَا فِي الْحَالَيْنِ بِخِلَافٍ، وَأَسْكَنَ الْبَاقُونَ الْعَيْنَ"(١)، " والحجة لمن أسكن العين: أنه أخذه من رتع يرتع: إذا اتسع في الأرض مرحا ولهوا، ونلعب: نلهو ونسرّ، والحجة لمن كسرها: أنه أخذه من الرّعي، وأصله: إثبات الياء فيه فحذفها دلالة على الجزم، لأنه جواب للطلب في قولهم﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا﴾، فبقيت العين على الكسر الذي كانت عليه" (٢)، فعلى قراءة كسر الراء" مُضَارِعُ ارْتَعَى وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الرَّعْيِ لِلْمُبَالَغَةِ فِيهِ، فَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي أَكْلِ الْمَوَاشِي وَالْبَهَائِمِ وَاسْتُعِيرَ فِي كَلَامِهِمْ لِلْأَكْلِ الْكَثِيرِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الرِّيَاضِ وَالْأَرْيَافِ لِلَّعِبِ وَالسَّبْقِ تَقْوَى شَهْوَةُ الْأَكْلِ فِيهِمْ فَيَأْكُلُونَ أَكْلًا ذَرِيعًا فَلِذَلِكَ شَبَّهَ أَكْلَهُمْ بِأَكْلِ الْأَنْعَامِ. وَإِنَّمَا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسُرُّ أَبَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا فَرِحِينَ.... وَعلى سُكُونِ الْعَيْنِ...مُضَارِعُ رَتَعَ إِذَا أَقَامَ فِي خِصْبٍ وَسَعَةٍ مِنَ الطَّعَامِ...." (٣).

(١) تقريب النشر (٢/٥٥٤).

(٢) الحجة لابن خالويه(ص١٩٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/٢٢٨).

٢ . قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠]، **ويمكننا تصنيف الفعل المضارع(يتق) إلى ثلاثة أقسام:**

١. ورد مرفوعا وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء، وذلك في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ [الزمر:٢٤]

٢ . ورد مجزوما وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [النور:٥٢] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ [الطلاق:٢] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾ [الطلاق:٥].

٣ . ورد مجزوما وتنوعت القراءات المتواترة في علامة جزمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٠]، حيث" أَثْبَتَ قُنْبُلٌ بِخِلَافٍ عَنْهُ الياء من ﴿يَتَّقِ﴾ فِي الْحَالَيْنِ"(١)، وذكر ابن عطية(ت٥٤٢هـ) أن هذه القراءة " ضعيفة لا تجوز إلا في الشعر، كما قال الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ (٢)" (٣).

(١) النشر في القراءات العشر(٢/٢٩٧).

(٢)البيت من الوافر لقيس بن زهير العبسي كما في النوادر لأبي زيد الأنصاري،(ص ٢٠٣) ولم تحذف الياء في قوله (يأتيك) للجازم، للضرورة، واللبون: الناقة ينزل فيها اللبن فترضع صغارها، وبنو زياد: هم الكَمَلة من الرجال أي: ألم تسمع أو يصل إليك نبأ لبون بني زياد وما جرى لهن.

(٣) المحرر الوجيز(٣/٢٢٤).

ويرى الجوهري(ت٣٩٣هـ) أن الشاعر" إنما أثبت الياء ولم يحذفها للجزم ضرورة، ورده إلى أصله"[١].

وذكروا في توجيه هذه القراءة وجهين:

أحدهما: أن من العرب من يجري المعتل مجرى الصحيح فلا يحذف منه شيئا من حروفه للجزم كما لا يحذف شيئا في الصحيح ويكتفي بإسكان آخره [٢]

والوجه الثاني: "أنه أسقط الياء لدخول الجازم، ثم بقّى القاف على كسرتها، وأشبعها لفظا فحدثت الياء للإشباع"[٣]

وقَالَ الْوَاحِدِيُّ(ت٤٦٨هـ): وَجْهُهُ أَنْ يُجْعَلَ «مَنْ» بِمَنْزِلَةِ الَّذِي فَلَا يُوجِبُ الْجَزْمَ، وَيَجُوزُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَيَصْبِرْ﴾ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ الرَّفْعُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ كَمَا يُخَفَّفُ فِي عَضْدٍ وَشَمْعٍ[٤].

وقدّم البقاعي(ت٨٨٥هـ) تفسيرا دلاليا لهذه القراءة، فقال:"﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ وهو مجزوم؛ لأنه فعل الشرط، وأثبت قنبل – بخلافه عنه – ياءه في الحالين معاملاً له معاملة الصحيح إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال"[٥].

٣ ـ **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه:٧٧]، ويمكننا تصنيف مضارع الفعل(خشي) للمفرد إلى أربعة أقسام:

---

(١) الصحاح(أ ت ى)(٢٢٦٣/٦).

(٢) إبراز المعاني(ص٣١٣).

(٣) الحجة لابن خالويه (١٩٩).

(٤) وينظر: الحجة للقراء السبعة(٤٤٨/٤).

(٥) نظم الدرر(٢٠٧/١٠).

القسم الأول: مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ [المائدة:٥٢] ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٣] ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٤] ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧] ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٦] ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ [عبس:٩] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾ [الأعلى:١٠]

القسم الثاني: منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف، قال تعالى:﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧] ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات:١٩]

القسم الثالث: مجزوم وعلامة جزمه حذف الألف، قال تعالى: ﴿**وَلۡيَخۡشَ** ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء:٩] ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢]

القسم الرابع: ما يحتمل الرفع والجزم، وذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه:٧٧] حيث تنوعت القراءات المتواترة،فـ" قَرَأَ حَمْزَةُ ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾بِالْجَزْمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ" [(١)]، فمن قرأ ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾فالمعنى لست تخاف دَرَكاً، ومن قال ﴿**لا تخفْ**

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٣٢١).

﴿دَرَكًا﴾ فهو نهي عن أن يخاف، ومعناه: لا تخف أن يدركك فرعونُ ولا تخشىْ الغرقَ [١].

وَعَطْفُ ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ ﴿لَّا تَخَافُ﴾ظَاهِرٌ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْجَزْمِ، فخرجه العلماء على

١ . **دلالة صوتية**، تتمثل في" أَنَّ الْأَلِفَ جِيءَ بِهَا لِأَجْلِ أَوَاخِرِ الْآيِ فَاصِلَةً نَحْوَ قَوْلِهِ ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[الأحزاب:٦٧] [٢]﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الْأَحْزَابِ: ١٠] .

٢. **دلالة لهجية**، تتمثل في " أَنَّهُ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ الْحَرَكَةِ الْمُقَدَّرَةِ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ: (أَلَمْ يَأْتِيكَ) وَهِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ"[٣].

٣ــ **دلالة نحوية**، تتمثل في أنه فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْمُخَاطَبِ، قال سيبويه(ت١٨٠هـ):"الرفع على وجهين: على الابتداء، وعلى قوله: اضربه غير خائفٍ ولا خاشٍ"[٤]، أَو يَكُون فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ لِلطَّرِيقِ، لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يَبَسًا﴾ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: لَا تَخَافُ فِيهِ، فَحَذَفَ الرَّاجِعَ مِنَ الصِّفَةِ[٥].

٤. **دلالة سياقية**، تتمثل في الاستئناف " كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَنْتَ لَا تَخْشَى، أَيْ وَمِنْ شَأْنِكَ أَنَّكَ آمِنٌ لَا تَخْشَى"[٦]، وهذا ما يعضده السياق القرآني:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٣/٣٦٩).

(٢) البحر المحيط(٧/٣٦٢) مفاتيح الغيب(٢٢/٨٠) إرشاد العقل السليم(٦/٣١)..

(٣) البحر المحيط(٧/٣٦٢).

(٤) الكتاب(٣/٩٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن(١١/٢٢٨).

(٦) مفاتيح الغيب(٢٢/٨٠).

أ- قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

ب - قوله - تعالى -: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] حيث استأنف بعد جواب الشرط ولم يعطف، أي" يكون خبرًا مقطوعًا، كأنَّه قال: وأنت لا تَخشَى، امتثالًا لنهينا لك"(١).

ويترتب على هذا التنوع القرائي والدلالي تنوع في الأداء يتمثل في الوقف والابتداء، فـ" من قرأ ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ بالجزم على جواب الأمر الذي هو قوله ﴿فَٱضْرِبْ﴾ لم يقف على قوله ﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾، والتقدير: إن تضرب بهم طريقاً في البحر لا تخف دركاً من خلفك وأنت لا تخشى غرقاً من بين يديك. فالوقف على هذه القراءة على قوله ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ كاف إذا جعل ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ منقطعاً مما قبله كما قال عز وجل ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]، ومن قرأ ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ بالرفع، فله تقديران:

أحدهما: أن يجعل حالاً من فاعل ﴿فَٱضْرِبْ﴾ والتقدير: فاضرب لهم طريقاً في البحر غير خائف ولا خاشٍ، فعلى هذا لا يحسن الوقف على ما قبله.

والثاني: أن يقطع من قوله ﴿فَٱضْرِبْ﴾، والتقدير: أنت لا تخاف، فعلى هذا يكفي الوقف على ما قبله" (٢).

---

(١) الممتع الكبير في التصريف(ص٣٤٣).

(٢) المكتفى في الوقف والابتداء(ص١٣٠). وَكَلِمَةُ ﴿تَخَفُ﴾ مَكْتُوبَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ بِدُونِ أَلْفٍ لِتَكَونَ قِرَاءَتُهَا بِالْوَجْهَيْنِ لِكَثْرَةِ نَظَائِرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ذَاتِ الْأَلِفِ فِي وَسَطِهَا فِي رَسْمِ الْمُصْحَفِ (التحرير والتنوير(١٦/٢٧٠).

المبحث الثاني: المستوى الصرفي

المطلب الأول: فَعَلَ: يَفْعِل ويَفْعُل:

الضابط اللغوي:" كلّ فعل انفتحت عين ماضيه جاز كسرها وضمها في المضارع قياسا، إلا أن يمنع السماع من ذلك "[١].

وحين نطبق هذه القاعدة على القرآن وقراءاته المتواترة، نجد أنها لا تطرد في جميع الأفعال المضارعة الواردة من الفعل الثلاثي المفتوح العين التي نصت معاجمنا العربية على ورود الضم والكسر في عين مضارعها، ويمكننا تقسيم هذا المضارع إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما توافقت معه القاعدة اللغوية فتنوعت فيه القراءات المتواترة بين الضم والكسر، وذلك في الآيات الآتية:

١ــ قال تعالى:﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] وقال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[النحل:٦٨]، قرأ ابن عامر وأبو بكر شعبة: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بضم الراء، والباقون بكسرها فيهما[٢]،قال ابن عباس . رضي الله عنهما .: يريد: المصانع، وقال مجاهد(ت١٠٣هـ): أي: يبنون البيوت والقصور والمساكن[٣]،وَقِيلَ: يَرْفَعُونَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُشَيَّدَةِ فِي السَّمَاءِ كَصَرْحِ

(١) الحجة لابن خالويه (ص١٦٢)

(٢) تقريب النشر (٥٢٤/٢)

(٣) التفسير البسيط: للواحدي(٣٢٢/٩)

هَامَانَ وَفِرْعَوْنَ[١]، ومعنى آية النحل: أي يرفع الناس من السقوف والجدران وغيرها[٢].

٢ـ قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف:١٣٨]،قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وخلف بخلاف عن إدريس﴿يَعۡكُفُونَ﴾ بِكَسْرِ الْكَافِ، والْبَاقُونَ بضمها[٣]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعبدونها مقيمين عليها، قال الزجاج(ت٣١١هـ): يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئًا وواظب عليه: عكَف يعكُف ويعكِف، ومن هذا قيل لملازم المسجد: معتكف[٤].

وهكذا نلاحظ أن الفعلين في آيتين متتاليتين، وأكثر القراء على كسر الفعل الأول وضم الفعل الثاني، وسيحاول البحث بيان ذلك لغويا.

٣. قال تعالى: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف:١٩٥] **وقال تعالى:**﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ [القصص:١٩] **وقال تعالى:**﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦]، قرأ أبو جعفر بضم الطاء في الثلاثة، والباقون بكسرها[٥].

٤ .**قال تعالى:** ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] **وقال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ

(١) مفاتيح الغيب(٣٤٩/١٤)
(٢) نظم الدرر(١٩٧/١١)
(٣) تقريب النشر (٥٢٤/٢)
(٤) التفسير البسيط: للواحدي(٣٢٣/٩)
(٥) تقريب النشر(٥٢٧/٢)

ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[التوبة:٧٩] **وقال تعالى:** ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[الحجرات:١١]، قَرَأَ يَعْقُوبُ بِضَمِّ الْمِيمِ مِنَ الثَّلَاثَةِ وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا [١].

٥ . **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾[يونس:٦١]**وقال تعالى:** ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ:٣]، قَرَأَ الْكِسَائِيُّ ﴿يَعْزُبُ﴾ بِكَسْرِ الزَّايِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّهَا[٢].

٦ – **قال تعالى:** . ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ **[طه:٨١]**

قرأ الكسائي ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾بضم الحاء، بضم اللام، والباقون﴿يَحْلِلْ عَلَيْهِ﴾ بكسر الحاء واللام[٣]

والتأصيل اللغوي كما في المصباح المنير: "حَلَّ الشَّيْءُ يَحِلُّ بِالْكَسْرِ حِلًّا خِلَافُ حَرُمَ فَهُوَ حَلَالٌ وَحِلٌّ أَيْضًا... وَحَلَّ الدَّيْنُ يَحِلُّ بِالْكَسْرِ أَيْضًا حُلُولًا انْتَهَى أَجَلُهُ فَهُوَ حَالٌّ... وَحَلَّ الْعَذَابُ يَحِلُّ وَيَحُلُّ حُلُولًا هَذِهِ وَحْدَهَا بِالضَّمِّ مَعَ الْكَسْرِ، وَالْبَاقِي بِالْكَسْرِ فَقَطْ " [٤]، وفي تاج العروس:" حَلَّ المَكانَ، حَلّ بِهِ، يَحُلّ ويَحِلّ، مِن حَدّى نَصَرَ وضَرَبَ، وَهُوَ ممّا جَاءَ بالوَجْهين، ... ... وقولُهم: حَلَّ الهَدْيُ يَحِلُّ مِن حَدِّ ضَرَب ...: بَلَغَ المَوْضِعَ الَّذِي يَحِلُّ فِيهِ نَحْرُه ... وحَلَّ أمرُ

(١) تقريب النشر (٥٣٦/١)
(٢) تقريب النشر (٥٤٣/٢)
(٣) تقريب النشر (٥٣٦/١)
(٤)المصباح المنير: (ح ل ل) (٢١٨/٢٨)

اللَّـهِ عَلَيْـهِ، يَحِل حُلُولاً: وَجَبَ هُوَ مِن حَدِّ ضَرَب، وقِيل: إِذا قلتَ: حَلَّ بهم العذابُ، كَانَت يَحُلُّ، لَا غير، وَإِذا قلت: عَلَيَّ، أَو: يَحِلُّ لَك، فَهُوَ بِالْكَسْرِ. ومَن قَرَأَ: {يَحُلَّ عَلَيكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُم} فَمَعْنَاه: يَنْزِلُ، وَفِي العُباب: حَلَّ العَذابُ يَحِلُّ بِالْكَسْرِ: أَي وَجَبَ، ويَحُل بِالضَّمِّ، أَي: نَزَلَ....وأمّا قولُه تَعَالَى: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٣١]فبالضَّمِّ، أَي: تَنْزِل..." [(١)].

ويمكن استقراء السياق القرآني في ضوء هذا التأصيل اللغوي، كالآتي:

أ ـ **(يَحِـل) خـلاف: يحـرم، بالكسـر** فـي السياق القرآنـي، وهذا مـا يتوافق مـع التأصيل اللغوي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة:٢٢٨]﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقـــرة: ٢٣٠] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢]

ب ـ المواضـع السـتة الباقيـة فـي سـياق وجـوب الشـيء أو نزولـه، وقـد تنوعـت القراءات المتواترة بين الكسر والضم في موضعين، واتفقت على الكسر في ثلاثـــة مواضـــع: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هـــود: ٣٩] [الزمـر: ٤٠]﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طـه: ٨٦]، واتفقت على الضم في موضع واحد: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣١]

(١) تقريب النشر (٥٤٣/٢)

ج ـ للعلماء اتجاهات في توجيه التنوع القرائي:

الأول: أنهما لغتان[١].

الثاني: أن كَسْر اللَّامِ بمعنى: يَجِبُ وَيَلْحَقُ، والضم بمعنى: يَنْزِلُ[٢].

الثالث: من قرأ بالكسر فمعناه: من حَل الشيء يَحِل .... إذا حُلت عنه عقدة التحريم، وزال عنه الحظر والحجر والمنع، فمعنى ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: ينزل بكم وينالكم بعدما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم، ومن فسر (يحل) يجب، فهو معنى وليس بتفسير، وذلك أنهم ما لم يطغوا كان العذاب ممنوعًا محظورًا عليهم، فإذا طغوا ارتفع ذلك الحظر فحل العذاب لهم، ومعنى غضب الله: عذابه إياهم، ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩]، أي: ينزل به بعد أن لم يكن، وقوله: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٦]، ولم يختلفوا في كسر هذين، ومن قرأ بالضم فوجهه: أن الغضب لما كان يتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال: يَحُل أي: ينزل، فجعله بمنزلة قوله: حَلَّ بالمكان يَحُلَّ. [٣]

الرابع: أن الكسر من حَلَّ الدَّيْنُ إِذَا آنَ أَجَلُ أَدَائِهِ، ومنه قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة:١٩٦]،والضم عَلَى أَنَّهُ مِنْ حَلَّ بِالْمَكَانِ يَحُلُّ إِذَا نَزَلَ بِهِ[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(١١/٢٣٠)

(٢) البحر المحيط(٧/٣٦٤) والنكت والعيون(٣/٤١٦) والحجة لابن خالويه (٢٤٦) والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها(٢/١٠٤) وحجة القراءات (٤٦٠)

(٣) التفسير البسيط(١٤/٤٨٣)

(٤) الكشاف (٣/٧٩) والتحرير والتنوير(١٦/٢٧٦)

الخامس: قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿فَيَحِلَّ﴾أي ينزل ويجب في حينه الذي هو أولى الأوقات به – على قراءة الجماعة بالكسر، ونزولاً عظيماً وبروكاً شديداً – على قراءة الكسائي بالضم"(١).

د . كان هذا الموضع القرائي مجالا للمطارحات والاستدراكات العلمية، منها:

١. إذا كان الكسائي (ت١٨٩هـ) أحد القراء العشرة وأحد أعلام مدرسة الكوفة قد قرأ بالضم في هذا الموضع، فإن أبا عمرو البصري(ت١٥٤هـ) أحد القراء العشرة وأحد أعلام مدرسة البصرة . أيضا . قد ألزم الكسائي أن يقرأ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٩]، بالضم، إذ سياقهما متقارب.

قال أبو بكر بن إدريس (ق٤هـ):" القراءتان جيدتان؛ لأنه إذا وجب نزَل، وإذا نزل وجب، فهما تؤولان إلى معنى واحد"(٢)

٢ ـ قال ابن عاشور في توجيه التنوع القرائي:" قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾– بِكَسْرِ الْحَاءِ– وَقَرَأُوا ﴿يَحْلِلْ عَلَيْهِ﴾ – بِكَسْرِ اللَّامِ الْأُولَى عَلَى أَنَّهُمَا فِعْلَا– حَلّ يُقَالُ: حَلَّ الدَّيْنُ إِذَا آنَ أَجَلُ أَدَائِهِ، وَقَرَأَهُ الْكِسَائِيُّ– بِالضَّمِّ فِي الْفِعْلَيْنِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ حَلَّ بِالْمَكَانِ يَحُلُّ إِذَا نَزَلَ بِهِ، كَذَا فِي «الْكَشَّافِ» وَلَمْ يَتَعَقَّبُوهُ، وَهَذَا مِمَّا أَهْمَلَهُ ابْنُ مَالِكٍ(ت٦٧٢هـ) فِي «لَامِيَّةِ الْأَفْعَالِ»، وَلَمْ يَسْتَدْرِكْهُ شَارِحُهَا بَحْرَقٌ الْيَمَنِيُّ (٨٦٩ – ٩٣٠ هـ) فِي «الشَّرْحِ الْكَبِيرِ»، وَوَقَعَ فِي «الْمِصْبَاحِ» مَا يُخَالِفُهُ وَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، وَظَاهِرُ «الْقَامُوسِ» أَنَّ حَلَّ بِمَعْنَى نَزَلَ يُسْتَعْمَلُ قَاصِرًا وَمُتَعَدِّيًا، وَلَمْ أَقِفْ لَهُمْ عَلَى شَاهِدٍ فِي ذَلِكَ" (٣)، وقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ

(١) نظم الدرر (٣٢٠/١٢)

(٢) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٥٥٥/١)

(٣) التحرير والتنوير(٢٧٦/١٦)

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الرعد:٣١]:" ﴿تَحُلُّ﴾: بِضَمِّ الْحَاءِ مُضَارِعُ حَلَّ اللَّازِمِ، وَقَدِ الْتُزِمَ فِيهِ الضَّمُّ، وَهَذَا الْفِعْلُ مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ بُحْرُقٌ الْيَمَنِيُّ عَلَى ابْنِ مَالِكٍ فِي شرح لامية الْأَفْعَالِ، وَهُوَ وَجِيهٌ" [١]، وقوله ﴿تَحُلُّ﴾ بمعنى تنزل[٢]، وفي قوله ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ وجهان: **أحدهما:** أو تحل القارعة قريباً من دارهم ، **الثاني:** أو تحل أنت يا محمد . صلى الله عليه وسلم . قريباً من دارهم[٣].

قال ابن مالك:

..... **كَذَا المُضَاعَفُ لَازِمًا كَحَنَّ طَلَا**

أي: تكسر عين المضارع مما كان مضاعفاً لازماً كقولك: دبَّ يدبُّ، وضجَّيضجُّ، وحلَّ يحلُّ، وزلَّ يزلُّ، وضلَّ يضلُّ، وحنَّ يحنُّ.

وذكر العلامة محمد بن يوسف أطَّفْيِّش (١٢٣٦ – ١٣٣٢ هـ) ثمانية وعشرين فعلا مفتوح عين ماضيها، مضاعفة، لازمة، مضموم عين مضارعها شذوذا، ولم تكسر مع أن الكسر هو القياس المضاعفة واللزوم، ثم قال: هذا مراد الناظم ... وبقيت على الناظم ثمانية وعشرون فعلا أخرى هي مثل الثمانية والعشرين التي ذكرها في فتح عين الماضي والمضاعفة واللزوم ... فإذا حسبناها مع ما ذكر الناظم يكون الخارج ستة وخمسين[٤]، وعدّ منها:" حلّ بالمكان يحل

(١)التحرير والتنوير(١٤٧/١٣)

(٢)حاشية الشهاب (٢٤٠/٥)

(٣)النكت والعيون (١١٣/٣)

(٤)شرح لامية الأفعال للقطب اطفيش(١٨/١)

أي نزل به، وسمع كسره على القياس، وأما يحلُّه فضمه على القياس لتعدّيه، وأما يحل من إحرامه، ويحل: أي لم تحرم فمكسوران قياساً" [١].

٣ ـ فإن قيل: ما وجه الإدغام في قوله: ﴿فَيَحِلَّ﴾- والإظهار في قوله: ﴿يَحْلِلْ﴾؟

فقل: إنما يكون الإدغام في متحرّكين، فسكن الأول لاجتماعهما، ثم يدغم. فإن كان الأول متحرّكا، والثاني ساكنا بطل الإدغام، فالأصل المدغم فيمن ضم (فيحلل) وفيمن كسر (فيحلل) فنقلت الحركة من اللام إلى الحاء وأسكنت اللام ثم أدغمت. فهذا فرقان ما بين المدغم والمظهر [٢].

٧ . **قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧]،قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ عَامِرٍ ﴿يَقْتُرُوا﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ التَّاءِ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ التَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ[٣]،فقَرَاءة ابْن كَثِيرٍ وَأَبي عَمْرٍو وَيَعْقُوب مِنْ (قَتَرَ) مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَقَرَاءة عَاصِم وَحَمْزَة وَالْكِسَائِيّ وَخَلَف مِنْ فِعْلِ (قَتَرَ) مِنْ بَابِ نَصَرَ.

٨ – **قال تعالى:** ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧]، فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالْبَصْرِيَّانِ، وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ بِكَسْرِ الصَّادِ، والْبَاقُونَ بِضَمِّهَا"[٤].

٩ –**قال تعالى:** ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٥٦] ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٧٤]، قرأ الكسائي ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ بضم

(١)شرح لامية الأفعال للقطب اطفيش(٢٢/١)
(٢)الحجة لابن خالويه (٢٤٦)
(٣) تقريب النشر (٦٢٠/٢)
(٤) عناية القاضي وكفاية الراضي)

الميم في الموضعين على خلاف من روايتيه تخييرا وخلافا فيهما، وفي أحدهما، والباقون بالكسر[١].

ويمكننا استنباط وملاحظة الآتي:

أ ـ الأفعال التي تنوعت فيها القراءات المتواترة بين كسر العين وضمها حسب ترتيب المصحف: (عرشَ . عكف . بطش . لمز . عزَب . حلّ . قتَر . صدّ . طمث).

ب . هناك نظائر لفظية وبنائية ورسمية لهذه الأفعال لم تتنوع فيها القراءات، فمن النظائر اللفظية الفعل (يصدون) حيث تنوعت القراءات المتواترة في موضع سورة الزخرف دون سائر المواضع، ويلحق بهذا النظير ما اختلف فيه الفعلان في حرفين من مخرج واحد، حيث تنوعت القراءات في الفعل (يقنط) دون الفعل (يقنت).

ومثال النظائر الرسمية: تنوعت القراءات في الفعل (يعزب) دون (تغرب) ورسمهما واحد . أقصد بالرسم خاليا من النقط والشكل على الأصل في كتابة المصحف . .

ومثال النظائر البنائية: كل مضارع أوردت فيه مصادر اللغة كسر العين وضمها، وجاءت القراءات المتواترة على أحد الضبطين، مثل الفعل (يسبتون).

ج . لم يتفق القراء على قياس واحد في الكسر والضم، مما يدل دلالة ساطعة على أن القراءات مردها للرواية، ولا تخضع للقياس اللغوي، لكنها لا تخرج عن ضوابط اللغة.

دـ توجيه اللغويين والقراء والمفسرين لهذا التنوع القرائي يتمثل في أن القراءتين لغتان فاشيتان مشهورتان[١]،وقد اختلف العزو اللهجي لهذا التنوع القرائي،

(١) تقريب النشر (٧٠٦/٢)

فيذكرون أن الكسر في ﴿يَعۡرِشُونَ﴾ لغة الحجاز، والضم لغة غيرهم[٢]، وأن الكسر في ﴿يَعۡكُفُونَ﴾ لغة أسد، والضم لغة بقية العرب[٣]، والتفسير اللغوي لهذا الاختلاف في العزو أن الدرس اللهجي يقرر أن البيئة البدوية كانت تؤثر باب (نصر) والبيئة الحضرية كانت تؤثر باب (ضرب)[٤]، وكان لكل قبيلة نهج خاص بها، فهذه مثلا مالت إلى نطق ذلك الفعل على حد (ضرب) وتلك مالت إلى نطقه على مثال (نصر)[٥]، ويوضح ذلك قول أبي زيد البلخي(ت٣٢٢هـ):" إِذَا جَاوَزْتَ الْمَشَاهِيرَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَأْتِي مَاضِيهَا عَلَى فَعَلَ، فَأَنْتَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْخِيَارِ: إِنْ شِئْتَ قُلْتَ يَفْعُلُ بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ يَفْعِلُ بِكَسْرِهَا"[٦].

=

(١) ينظر: الحجة لابن خالويه (٢٦٦) وحجة القراءات(٥١٤)و الدرة الفريدة (٣٣/٤، ١٣٥)(١٤٥/٥) وإعراب القراءات السبع (٢٧٠/١) وكنز المعاني للجعبري (٢٣٦/٢) وإبراز المعاني (٤٨١) (٦١٩) وتاج العروس (ل م ز) ومعاني القراءات (٤٥٦/١) ومفاتيح الغيب (٢٣٦/٢٠) والدر المصون (٤٤٢/٥)

(٢) كنز المعاني للجعبري (١٦٠٨/٣) والبحر المحيط (١٥٦/٥)

(٣) كنز المعاني للجعبري (١٦٠٩/٣)

(٤) ينظر: من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس (ص٦٠)

(٥) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية: د. ضاحي عبد الباقي(٤٣٥)

(٦) القاموس المحيط(ص٢٨) ويريدون بمجاوزة الْمَشَاهِير: أَن يَرِد عَلَيْك فِعل لَا تعرف مُضارعَه كَيفَ هُوَ بعد الْبَحْث عَنهُ فِي مظانِّه فَلَا تَجدهُ، ومجاوزة الْمَشَاهِير لَيست لكل إِنْسَان، وَإِنَّمَا هِيَ بعد حفظ المشهورات، فَلَا يَتَأَتَّى لمن لم يدرس الكُتب وَلَا اعتنى بالمحفوظ أَن يَقُول قد عدمت السَّماع فيختار فِي اللَّفْظَة يفعِل أَو يفعُل، لَيْسَ لَهُ ذَلِك، وَقَالَ بَعضهم إِذا عُرف أَن الْمَاضِي على وزن فعل بِفَتْح الْعين وَلم يعرف الْمُضَارع، فَالْوَجْه أَن يَجْعَل يفعِل بِالْكَسْرِ، لِأَنَّهُ أَكثر، والكسرة أَخف من الضمة (تاج العروس: ٨٤/١)

هـ - ذكر الْيَزِيدِيُّ (١٣٨ – ٢٠٢ هـ) أن الكسر أَفْصَحُ[١]؛ فإن كان مقصوده الفصاحة من حيث الاستعمال اللهجي فمقبول؛ لأن لغة الحجاز أفصح من غيرها، وإن كان مقصوده الأفصح في القراءة فليس مقبولا؛ لأن القراءات إذا صح سندها وثبتت عن الرسول . صلى الله عليه وسلم . لم يجز التفاضل بينها.

قال القرطبي(ت٦٧١هـ):"﴿ **يَقْتُرُوا**﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ التَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ، مِنْ قَتَرَ يَقْتُرُ، وَهَذَا الْقِيَاسُ فِي اللَّازِمِ، مِثْلُ قَعَدَ يَقْعُدُ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ وَابْنُ كَثِيرٍ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ التَّاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ – التَّاءِ، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ(ت٤٢٧هـ): كُلُّهَا لُغَاتٌ صَحِيحَةٌ"[٢]،"وَأَنْكَرَ أَبُو حَاتِمٍ(ت٢٥٥هـ) لُغَةَ أَقْتَرَ رُبَاعِيًّا هُنَا، وَقَالَ: أَقْتَرَ إِذَا افْتَقَرَ، وَمِنْهُ ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾[البقرة:٢٣٦] وَغَابَ عَنْهُ مَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ(ت٢١٦هـ) وَغَيْرُهُ: مِنْ أَقْتَرَ بِمَعْنَى ضَيَّقَ"[٣].

وضم طاء (يبطش) وكسرها لغتان [٤]،" بَطَشَ بِهِ يَبْطِشُ، ... ويَبْطُشُ بالضّمِّ...: أَخَذَهُ بالعُنْفِ والسَّطْوَةِ،....والبَطْشُ: الأَخْذُ الشَّدِيدُ القويّ فِي كُلِّ شَيْءٍ " [٥]، وَالضَّمُّ أَقْيَسُ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ لَا يَتَعَدَّى"[٦].

(١) الكشاف (١٤٩/٢) والبحر المحيط (١٥٦/٥)
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧٤/١٣)
(٣) البحر المحيط (١٢٩/٨)
(٤) حاشية الشهاب (٢٤٥/٤)
(٥) تاج العروس (ب ط ش)
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٥/١٣)

ج. لهم في التنظير لهذا التنوع القرائي طريقان:

الأول: التنظير للموضع المختلف فيه بنظيره المختلف فيه، فيقولون: " فأما قتر يقتُر ويقتِر، فمثل: فسق يفسُق ويفسِق، وعكَف يعكُف ويعكِف، وحشر يحشُر ويحشِر "[١]،وقال أبو الحسن(ت٢١٥هـ):" يعرِشون ويعرُشون لغتان، وكذلك يبطِش ويبطُش، ويحشِر ويحشُر، ويعكف ويعكف، وينفِر وينفر "[٢]، و" طَمَثَهَا يَطْمِثُها . بِالْكَسْر . ويَطْمُثُها بالضّمّ، طَمْثاً: افْتَضَّها، وعَمَّ بِهِ بعضُهم الجِمَاعَ" [٣]، لُغَتَانِ، مِثْلُ: يَعْرُشُونَ وَيَعْكِفُونَ[٤].

قال أبو علي: كل واحد من الضمّ والكسر؛ في عيني الكلمتين لغة، ومثل: يعكف، ويعكف، ويعرش، ويعرش، قولهم: يحشر ويحشر، ويفسق، ويفسق[٥]، " و عَزَبَ يَعْزُبُ، وَعَزَبَ يَعْزِبُ" [٦]"لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، نَحْوَ يَعْرِشُ وَيَعْرُشُ "[٧]: غَابَ غَابَ حَتَّى خَفِيَ [٨].

ونلاحظ أن العلماء نظّروا للقراءات المختلف فيها بمضارع: (حشَر . فسَق . نفَر) (بطَش ـ عرَش ـ عكَف) والثلاثة الأخيرة تنوعت فيها القراءات المتواترة، والثلاثة الأولى لم تتنوع فيها القراءات المتواترة.

(١) الحجة للقراء السبعة (٣٤٩/٥)
(٢) الحجة للقراء السبعة (٧٥/٤)
(٣) تاج العروس (ط م ث)
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩٠/١٧)
(٥) الحجة للقراء السبعة (٧٤/٤)
(٦) مفاتيح الغيب (٢٧٤/١٧)
(٧) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٦/٨)
(٨) البحر المحيط (٤٣/٦)

الثاني: التنظير بالقرآن الكريم فيما جاء على ضبط واحد من هذين الضبطين، فينظرون للكسر بالفعل ﴿يَحْلِفُونَ﴾[النساء:٦٢] وقد جاء في أحد عشر موضعا، و" حَلَفَ، يَحْلِفُ، مِن حَدِّ ضَرَبَ..."[١]، وينظِّرون للضم بالفعل﴿يَخْلُفُونَ ﴾[الزخرف:٦٠][٢].

الثاني: ما ورد على الكسر فقط، مع ورود الضم . أيضا . في المعاجم:

١ . **سَبَت: يَسْبِت، ويَسْبُت:** السَّبْتُ مَصْدَرُ سَبَتَ الْيَهُودِيُّ، مِنْ بَاب ضَرَبَ وَنَصَرَ، بِمَعْنَى احْتَرَمَ السَّبْتَ وَعَظَّمَهُ[٣]، جاء في تاج العروس:" . **وَقد سَبَتوا، يَسْبِتُون، ويَسْبُتُون.....، والفِعْل: كَنَصَرَ، وضَرَبَ** "[٤]، إلا أن القراءات المتواترة وردت على الكسر فقط، وذلك في قوله . تعالى .: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ **لَا يَسْبِتُونَ** لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف:١٦٣]، "وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَن الْيَهُودَ كَانُوا يَنْقَطِعون فِيهِ عَنِ الْعَمَلِ وَالتَّصَرُّفِ"[٥].

وهنا وقفة معجمية: تنوعت دلالات هذا الاسم، فـ" **السَّبْت:** الرَّاحَةُ والسُّكُونُ، والقَطْعُ، وتَرْكُ الأَعْمَالِ. ... **والسَّبْتُ:** الحَلْقُ...، سَبَتَ رَأْسَهُ وشَعَرَه، يَسْبُتُهُ، سَبْتاً، ... **والسَّبْتُ:** الرَّجُلُ الكَثِيرُ السُّبَاتِ، أَي: النَّوْم، والسَّبْت: الرَّجُلُ

(١) تاج العروس (ح ل ف)
(٢) ينظر: كنز المعاني للجعبري (١٦٠٩/٣)
(٣) التحرير والتنوير (٥٤٤/١)
(٤) تاج العروس (س ب ت)
(٥) لسان العرب (س ب ت)

الدَّاهِيَةُ المُطْرِقُ، **والسَّبْتُ:** قِيامُ اليَهُودِ، لَعَنَهُم الله تعَالى، بأَمْرِ السَّبْتِ " [١]، قال الزبيدي:" قَالَ شيخُنَا[٢]: قَضِيَّتُه[٣] أَنّ المصادرَ السّابقة كُلَّها فِي جَمِيع الْمعَانِي يُبْنَى مِنْهَا الفعلُ بالوَجْهَيْنِ، والّذي فِي الصَّحاح[٤] أَنَّ الجميعَ بالكَسْر، وَلَا يُضَمُّ إِلاّ فِي: سَبَت، إِذا نَامَ. قلتُ: وكذلك فِي: سَبَتَ اليهودُ، فإِنّه يُرْوَى فِعْلُه بالوَجْهينِ" [٥].

قلت: يؤيد رأي الزبيدي أنه قد قرئ في الشواذ بضم الباء في الآية السابقة[٦].

وقَوْلُهُ:﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ ﴾مَعْنَاهُ: يَعْدُونَ فِي تَعْظِيمِ هَذَا الْيَوْمِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: يَوْمَ سَبْتِهِمْ مَعْنَاهُ: يَوْمَ تَعْظِيمِهِمْ أَمْرَ السَّبْتِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾"[٧].

(١) تاج العروس (س ب ت)

(٢) الإمَام اللغويّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن الطّيِّب بن مُحَمَّد الفاسيّ، المتولّد بفاس سنة ١١١٠هـ، والمتوفَّى بِالْمَدِينَةِ المنوَّرة سنة ١١٧٠هـ (تاج العروس:٣/١)

(٣) الضمير يعود على الزبيدي.

(٤) الصحاح: (س ب ت)(٢٥٠/١)

(٥) تاج العروس (س ب ت)

(٦) نسبت للأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم في زاد المسير (١٦٣/٢)، وعِيسَى بْن عُمَرَ وَعَاصِم بِخِلَافٍ (البحر المحيط٢٠٣/٥)،والحسن بن عمران، وأبان، وجبَلة، والجراح، وأبو واقد في المغني في القراءات (٨٦١/٢) وَقَرَأَ الْحَسَنُ(يُسْبِتُونَ) بِضَمِّ الْيَاءِ، أَيْ يَدْخُلُونَ فِي السَّبْتِ، كَمَا يُقَالُ: أَجْمَعْنَا وَأَظْهَرْنَا وَأَشْهَرْنَا، أَيْ دَخَلْنَا فِي الْجُمُعَةِ وَالظُّهْرِ وَالشَّهْرِ (الجامع لأحكام القرآن(٣٠٥/٧)

(٧) مفاتيح الغيب(٣٩١/١٥)

٢ . **قنط: يقنِط ويقنُط:** قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦] ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣]، قرأ البصريان والكسائي وخلف بكسر النون في الأفعال الثلاثة، والباقون بفتحها[١]، فورد الكسر ولم يرد الضم[٢] مع وروده في اللغة، يقال" قَنَط، كنَصَرَ، وضَرَبَ، وحَسِبَ"[٣]، قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): فيه لغات: قَنَطَ يقنِطُ، وقَنِطَ يقنَطُ، وقَنَطَ يقنُطُ، وقد حكيت أيضا: قَنَطَ يقنَطُ[٤]، ففيه ثلاث قراءات، وماضيه محرك بحركات ثلاث أيضاً، ورد من باب نصر، وضرَب وفرِح، إلا أنه لم يقرأ إلا بواحدة منها، وهي الفتح في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨] [٥].

٣ . **نسَل: ينسِل وينسُل:** جاء في معاجم اللغة:" نَسَلَ الْمَاشِي يَنْسِلُ ويَنسُلُ، من حدَّيْ ضرَبَ ونصَرَ...: أَسرعَ ..."[٦]، إلا أن القراءات المتواترة واردة على وجه الكسر فقط[٧]، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن

(١) تقريب النشر (٥٦٨/٢)

(٢) نعم ورد في القراءات الشاذة،، فَقَرَأَ (يقنُط)، كـ (يَنْصُر) الأَعْمَشُ، وأَبو عَمْرو، والأَشْهَبُ العُقَيْلِيُّ، وعِيسَى بنُ عُمَرَ، وعُبَيْدُ بن عُمَيْر، وزَيْدُ بنُ عَلِيٍّ، وطاوُوس (المحتسب ٥/٢، وتاج العروس: ق ن ط)

(٣) تاج العروس (ق ن ط)

(٤) المحتسب (٥/٢)

(٥) حاشية الشهاب (٢٩٨/٥)

(٦) تاج العروس (ن س ل)

(٧) ورد الضم في القراءات الشاذة، حيث قرأ أبو رجاء العطاردي، وعاصم الجحدري وَابْنُ أَبِي أَبِي إِسْحَاقَ وَأَبُو السَّمَّالِ: «يَنْسُلون» بضم السين (زاد المسير (٢١٣/٣) والبحر المحيط (٤٦٨/٧)

﴿كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، والمعنى: يسرعون، من النسلان وهو تقارب الخطا مع السرعة كمشي الذئب[١]،وَالْمُرَادُ: الْمَشْيُ السَّرِيعُ، وَإِيثَارُ التَّعْبِيرِ بِهِ هُنَا مِنْ نُكَتِ الْقُرْآنِ الْغَيْبِيَّةِ، لِأَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَمَّا انْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ انْتَشَرُوا كَالذِّئَابِ جِيَاعًا مُفْسِدِينَ[٢].

فهذه ثلاثة أفعال (سبت . قنط . نسل) جاء مضارعها على الكسر، مع ورود الكسر والضم في معاجمنا اللغوية، فما دلالة ذلك؟

الثالث: ما ورد على الضم فقط، مع ورود الكسر . أيضا . في المعاجم:

١. دَرَسَ: يَدْرُسُ، ويَدْرِسُ: " دَرَسَ الشيْءُ، والرَّسْمُ **يَدْرُسُ** دُرُوساً، بالضّمّ: عَفَا، ودَرَسَتْهُ الرِّيحُ دَرْساً: مَحَتْه، ... لازِمٌ مُتَعَدٍّ... ومِن المَجَازِ: دَرَسَ الكِتَاب يَدْرُسُه، بالضَّمّ، ويَدْرِسُه، بالكَسْر..: قَرَأَه... وذَلَّلَهُ بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليهِ من ذلِك" [٣]، وَالوارد في القراءات المتواترة[٤] مِنْ بَابِ نَصَرَ، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ [سبأ:٤٤] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم:٣٧]، وَالدِّرَاسَةُ: الْقِرَاءَةُ بِتَمَهُّلٍ لِلْحِفْظِ أَوْ لِلْفَهْمِ.

(١) نظم الدرر (٤٨١/١٢)

(٢) التحرير والتنوير (١٥٠/١٧)

(٣) تاج العروس (د ر س)

(٤) وكذا الشاذة، ينظر: المغني في القراءات (٥٩٦/٢) (١٥١٩/٤، ١٨١٨)

. فسَق: يفسُق ويفسِق: جاء في معاجم اللغة:" **فسَق، كنَصَر، وضَرَب، وكرُم...، أي: فجَر فُجوراً..**" [١]، وقد وردت القراءات المتواترة في جميع مواضع المضارع من هذا الفعل بضم السين[٢]، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ **يَفْسُقُونَ**﴾ [البقرة:٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ **يَفْسُقُونَ**﴾ [الأنعام:٤٩] وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ **يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف:١٦٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ **يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف:١٦٥] وقوله تعالى:﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ **يَفْسُقُونَ**﴾ [العنكبوت:٣٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠]

ولعل الضم في هذا الفعل ورد اتساقا مع الفعل الوارد بمعناه، فقد أوردت معاجم اللغة أن" فسَق يَفْسِقُ ويَفْسُقُ فِسْقاً وفُسوقاً ... أَي: فَجَر"[٣]،والمضارع من هذا الفعل المرادف جاء على الضم، قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة:٥]، ومعنى (يفجر): يعصي ويخالف[٤]، وهذا ملمح علميٌّ يحتاج إلى بحث، وهو: هل اصطفاء القراءات المتواترة لحركة بنائية دون أخرى مما تجيزه اللغة يأتي وفقا لحركة المرادف لهذا الفعل؟

ويبقى السؤال: ما دلالة التنوع القرائي في مواضع، وورود أحد الوجهين في مواضع مع أن اللغة تبيح الوجهين في جميع المواضع؟

---

(١) تاج العروس (ف س ق)

(٢) قرَأَ النَّخَعِيُّ وَابْنُ وَثَّابٍ وَغَيْرُهُمَا بِكَسْرِ السِّينِ، البحر المحيط (٣٦٤/١)

(٣) لسان العرب: (ف س ق)

(٤) التفسير البسيط(٤٨٢/٢٢)

للإجابة على هذا السؤال، أقول: يمكن أن يرجع ذلك الأمر إلى أربعة أمور:

الأول: <u>أن يكون هذا التنوع من قبيل الجمع بين اللغات</u>، فيصطفي التعبير القرآني لغة في موضع، وأخرى في موضع ثان، ويَرِد بهما في موضع ثالث، وهذا سبيلٌ ذكره غير واحد من علماء القراءات، فعلى سبيل المثال:

أ **. على المستوى الصوتي،** " لَمْ يُدْغَمْ مِنَ الْمِثْلَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّنَسِكَكُمْ﴾ [البقرة:٢٠٠]، ﴿مَاسَلَكَكُمْ﴾ [المدثر:٤٢]، وَأُظْهِرَ مَا عَدَاهُمَا نَحْوُ: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة:٣٥] وَ﴿وُجُوهِهِمْ﴾ [المطففين:٢٤]، و﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [البقرة:١٣٩] وَ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤] وَشِبْهُهُ"(١).

قال أبو الفضل البخاري(ق٧هـ):" فإن قيل: لم خصّهما بالإدغام دون غيرهما؟ قيل: للجمع بين اللغتين، مع اتباع الأثر، كما وقع الإجماع على إظهار ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ [النساء:١١٥] [الأنفال:١٣] وإدغامه في الحشر" (٢): ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:٤](٣).

---

(١) النشر في القراءات العشر (٢٨٠/١)

(٢) الشفاء في علل القراءات (١٠١/١)

(٣) و مثله في لغة العرب يصح إدغامه وإظهاره كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن <u>يَرْتَدَّ</u> مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن <u>يَرْتَدِدْ</u> مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة:٢١٧]: إن الأصل في ذلك: إذا قويت الحركة في القاف أن تدغم، فقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ قد قويت الحركة منه في القاف الأخيرة؛ لأنها لاقت كلمة قد لزم أولها السكون، وهو اللام الأولى من ﴿ٱللَّهَ﴾...

وأما قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النساء:١١٥]، فليس الساكن من =

=

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ الذي تلاقيه القاف كالساكن من لفظة ﴿ٱللَّهَ﴾؛لأنه قد يحذف فيصح لملاقاة القاف متحرّكا منه، نحو: ومَن يشاقق رسول الله، فالذي أوجب في سورة الحشر في قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ الادغام هو قوة الحركة في القاف، وقوتها أنه لا يصح أن تلاقي الاسم، الذي بعدها إلا ساكنا منه لا يقوم مقامه متحرّك في حال، وما سواه من المواضع ليس على هذا الوصف (درة التنزيل ١/١٢٦٠)

نعم هناك إشارات دلالية لهذا التنوع الصوتي، مثل:

أ . أن الإدغام تخفيف وليس بالأصل، فورد في النساء على الأصل، ولم يقترن به ما يستدعى تخفيفه ولا سؤال في ذلك، ولما تقدم في سورة الحشر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[الحشر:٤]، وتقدم الماضي مدغما ولم يسمع في الماضي إلا تلك اللغة، فجئ بما حمل عليه من قوله: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ مدغما ليحصل مجيء الإدغام قبله في الماضي من قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وعطف ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾على اسم الله تعالى وقد وردت نسبة المشاقة لله ورسوله وورد ذلك بالعطف بالواو الجامعة وهو ما يناسب الفك فاستدعى الموضع داعيان:

أحدهما: ما قبله من الإدغام، **والثاني:** ما بعده من العطف المشبه للفك،... (ملاك التأويل ١/١٠٩).

ب . في موضع سورة النساء " أظهر القاف إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، ولأن السياق لأهل الأوثان وهم مجاهرون، وقد جاهر سارق الدرعين الذي كان سبباً لنزول الآية في آخر قصته" وفي سورة الأنفال:" أظهر الإدغام في المضارع لأن القصة للعرب وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديداً ومجاهرة، وأدغم في الماضي؛ لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالمماكرة ومجاهرة بالمقاهرة، وعبر بالمضارع ندباً إلى التوبة بتقييد الوعيد بالاستمرار، وأدغم في الحشر في الموضعين لأن القصة لليهود وأمرهم كان ضعيفاً ومساترة في مماكرة" ((نظم الدرر ٥/٤٠١، ٨/٢٣٩)

ج . لظهور الانفكاك بين الرسول– ومخالفة فك الإدغام في سورة النساء، وفي سورة الأنفال– رعاية لجانب المعطوف، ولم يفك في قوله تعالى في الحشر.

=

ب . **على المستوى الصرفي،** قَرَأَ ابْن كثير وَالبصريان﴿يُنَزِّلَ﴾ كيف جاء مضارعا أوله غير همزة بِالتَّخْفِيفِ[1] فِي جَمِيع الْقُرْآن، وحجتهم قوله تعالى: ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ [البقرة:٩٠]، وَلم يقل(نزَّل الله)... وَابْن كثير خَالف مذْهبه فِي سُورَة سُبْحَانَ:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ [الإسراء:٨٢] ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء:٩٣] فَقَرَأَ بِالتَّشْدِيدِ" كَأَنَّهُ أَرَادَ أَن يجمع بَين اللغتين"[2].

وفي قوله تعالى:﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣] قرأ المدنيان والكسائي﴿فَقَدَّرۡنَا﴾بتشديد الدال، والباقون بالتخفيف[3]، قَالَ الْفراء(ت٢٠٧هـ): هما لُغَتَانِ، ... وَقيل للكسائي(ت١٨٩هـ): لم اخْتَرْت التَّشْدِيد وَاسم الْفَاعِل لَيْسَ مَبْنِيا على هَذَا الْفِعْل ؟ فَقَالَ: هَذَا بِمَنْزِلَة قَوْله ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الطارق:١٧] ثمَّ قَالَ ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ﴾، وَلم يقل (مَهلّهم)، فَجمع بَين اللغتين[4].

=

د . أن أل في الاسم الكريم لازمة بخلافها في الرسول، واللزوم يقتضي الثقل فخفف بالإدغام فيما صحبته الجلالة بخلاف ما صحبه لفظ الرسول، وفي آية الأنفال صار المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد (روح المعاني٣/١٤٠)

(١) ينظر: تقريب النشر في القراءات العشر (٤٥٩/٢) إلا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر:٢١]؛ لِأَنَّهُ شَيْء بعد شَيْء، فَكَأَنَّهُ لما تردد وَطَالَ نُزُوله شدده لتردده.

(٢) حجة القراءات(١٠٦)

(٣) ينظر: تقريب النشر في القراءات العشر (٧٣٤/٢)

(٤) حجة القراءات(٧٤٤)

ج – **على المستوى النحوي**:في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾[الروم:٥٧] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر:٥٢] قرأ الكوفيون ﴿يَنفَعُ﴾ بالتذكير، والباقون بالتأنيث، في الموضعين، إلا أن نافعا قرأ بالتأنيث في موضع سورة الروم، وبالتذكير في موضع سورة غافر(١).

قال أبو شامة (ت: ٦٦٥هـ):" تذكير الفعل في ذلك وتأنيثه ظاهران؛ من قبل أن لفظ (معذرة) مؤنث ولكنه تأنيث غير حقيقي، ونافع أنث هنا . الروم .، وذكَّر في سورة الطول جمعا بين اللغتين"(٢).

فيكون هذا التنوع لحركة المضارع تنوعا لهجيا، يقول الزبيدي (ت١٢٠٥هـ):" ... الوجهانِ جائزان: الضمُّ وَالْكَسْر، وهما مستعملان فِيمَا لَا يُعْرَف مستقبله ومُتساويان فِيهِ، فكيفما نطقت أصبت، وَلَيْسَ الضَّم أولى من الْكسر، وَلَا الْكسر أولى من الضَّم، إِذْ قد ثَبت ذَلِك كثيرا، قَالُوا حشَر يحشِر ويحشُر، وزمَر يزمِر ويزمُر، وقَمرَ يقمِر ويقمُر، وفَسَق يفسِق ويفسُق، وفسَد يفسِد ويفسُد، وحسَر يحسِر ويحسُر، وعرَج يعرِج ويعرُج، وعكَف يعكِف ويعكُف، ونفَر ينفِر وينفُر وغدَر يغدِر ويغدُر، وعثَر يعثِر ويعثُر، وقدَر يقدِر ويقدُر، وسفَك يسفِك ويسفُك، إِلَى غير ذَلِك مِمَّا يطول إِيرَاده، وَفِيه لغتانِ. ... قَالَ أَبُو عمر إِسْحَاق بن صَالح الجَرمي(ت٢٢٥هـ)، سَمِعت أَبَا عُبَيْدَة مَعمَر ابْن المثنَّى(ت٢١٠هـ) يروي عَن أبي عَمْرو بن الْعَلَاء(ت١٥٤هـ) قَالَ: سَمِعت الضَّم والكَسْر فِي عامَّة هَذَا الْبَاب، لَكِن رُبمَا اقتُصر فِيهِ على وَجْهٍ واحِد لَا بدَّ فِيهِ من السماع، وَمِنْهُم من قَالَ جَوَاز الْوَجْهَيْنِ الضمّ وَالْكَسْر إِنَّمَا يكون عِنْد مجاوَزة الْمَشَاهِير من الْأَفْعَال، وَأما فِي

(١) ينظر: تقريب النشر في القراءات العشر (٢/٦٤٠، ٦٧١)

(٢) إبراز المعاني(٦٤١)

مَشْهُور الْكَلَام فَلَا يتعدّى مَا أَتَت الرِّوَايَات فِيهِ كَسْرًا، كضرَب يضرِب، أَو ضما نَحْو قتل يقتُل..."[1].

الثاني: أن **يرجع ذلك إلى علة صوتية** في بعض السياقات، ففي قوله تعالى: ﴿ يَعۡرِشُونَ ﴾[الأعراف:١٣٧]، يقول أبو الفضل البخاري(ق٧هـ):" اعلم أن ما كان ماضيه على فَعَلَ بفتح العين فمستقبله يجيء على يفعِلُ ويفعُلُ بكسر العين وضمها ويكثران فيه، حتى قال بعض النحويين: إنهُ ليس أحدُهما أولى به من الآخَر، وأنه ربما يكثر أحدهما في ألفاظ الناس حتى يُطرَحَ الآخر ويقْبُح استعمالهم، وقال بعضهم: إذا عُرف أن الماضي على فعَل بفتح العين ولم يعرف المستقبل كيف هو، فالوجه أن يُجعل مستقبله على يفعِل بكسر العين؛ لأنه أكثر، والكسر أخف، وعلةُ حسن كسر الراء أنه أخفُّ في اللفظ؛ لأن الكسر أخف، وفي الراء خاصة لما فيها من التكرير فتصير الضمة فيها بمنزلة الضمتين وهي أثقل الحركات فعدلوا عنها؛ طلبا للخفة"[2]، ولعل هذا التفسير الصوتي يبين لنا دلالة أن أكثر القراء على الكسر في ﴿ يَعۡرِشُونَ ﴾[الأعراف:١٣٧]والضم في ﴿يَعۡكُفُونَ ﴾[الأعراف:١٣٨]، وهما في آيتين متجاورتين.

الثالث: أن **يرجع ذلك إلى معنى المضارع**، فقد تختلف حركة المضارع لاختلاف معناه في نظائره، وأذكر خمسة أمثلة لذلك:

المثال الأول: ورد الفعل ﴿يَصُدُّونَ﴾في أربعة عشر موضعا كلها بضم الصاد إلا موضعا واحدا تنوعت فيها القراءات المتواترة بين كسر الصاد وضمها، وقد نصت معاجمنا على ورود الكسر والضم، فمما اتفقت القراءات المتواترة على ضمه، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ

(١) تاج العروس(٨٤/١)

(٢) الشفاء في علل القراءات (٤٩٤/١)

ٱلْمُنَٰفِقِينَ **يَصُدُّونَ** عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النســـاء: ٦١] ﴿ ٱلَّذِينَ **يَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ **يَصُدُّونَ** عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ [الأنفـــال: ٣٤] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ **وَيَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال: ٤٧] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ **وَيَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبـــة: ٣٤] ﴿ ٱلَّذِينَ **يَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [هـــود: ١٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ **وَيَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ ﴾ [إبـــــراهيم: ٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ **وَيَصُدُّونَ** عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ [الحـــج: ٢٥] ﴿ وَإِنَّهُمْ **لَيَصُدُّونَهُمْ** عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخـــــرف: ٣٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ **يَصُدُّونَ** وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٥]

وقد تنوعت القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧] حيث قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم وحمزة بكسر الصاد، والباقون بضمها[(١)].

(١) تقريب النشر في القراءات العشر (٦٨١/٢).

وكان للغويين في هذا التنوع القرائي أقوال:

القول الأول: أنهما لغتان بمعنى يَضِجُّون[١]، قال الزجاج (ت٣١١هـ):" ﴿يَصِدُّونَ﴾ ويُقرأ ﴿يَصُدّونِ﴾ – بضم الصاد – والكسر أكثر، ومعناهما جميعاً يضجُّونَ"[٢]، وقال الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ):" وصدّ يصُدّ ويصِدّ، أي ضَجّ" [٣].

القول الثاني: أنهما لغتان بمعنى الصدود، وهو الإعراض أو يصدون غيرهم [٤]، قَالَ الْكِسَائِيُّ(ت١٨٩هـ): هُمَا بِمَعْنًى، نَحْوَ: يَعْرِشُونَ ويعرُشُون، ويعكِفُون وَ يَعْكُفُونَ [٥]، وقال الفراء(ت٢٠٧هـ):" العرب تَقُولُ: يصِدّ ويصُدّ، مثل: يشِدّ ويشُدّ، وينِم وينُم من النميم، يصدون مِنْهُ وعنه سواء" [٦].

وفي تاج العروس: " صَدّ عَنْه يصُدُّ ويَصِدُّ صَدًّا و صُدُوداً، كقُعودٍ: أَعرَضَ .... و يُقَال: صَدَّ فُلاناً عَن كَذَا صَدًّا، إِذا مَنَعَهُ وصَرَفَهُ عَنهُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[النمل:٤٣] أَي صَدَّهَا كونُها... من قَوْمٍ كافِرِينَ عَن الإِيمان....وصَدَّ يصُدُّ، بالضّمّ، ويَصِدُّ، بالْكَسْرِ، صَدًّا و صَدِيداً: عَجَّ وضَجَّ...، فإِذا كَانَ المعنَى يَضِجُّ ويَعِجُّ فالوَجْهُ الجَيِّدُ صَدَّ يَصِدُّ، مثل ضَجّ يَضِجُّ" [٧].

---

(١) ينظر: شرح الهداية لأبي العباس المهدوي(٥٠٩/٢) والدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني (٨٣/٥)

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٤١٦/٤).

(٣) بصائر ذوي التمييز(٣٩٠/٣)

(٤) الدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين الهمذاني ٨٣/٥.

(٥) مفاتيح الغيب ٦٣٩/٢٧.

(٦) معاني القرآن للفراء ٦٨٠/١.

(٧) تاج العروس (ص د د).

وإذا كان هذا التنوع القرائي تنوعا لهجيا، فما دلالة ورود هذا التنوع في موضع دون سائر المواضع؟

القول الثالث: يتنوع المعنى تبعا لاختلاف القراءة، قال قطرب(ت٢٠٦هـ): من كسرها: فإنه أراد يَضِجُّونَ، ومن ضمها فإنه أراد الصُّدُود عن الحقّ[١]، وقال أبو عبيدة(ت٢١٠هـ): من كسر الصاد، فمجازها: يَضِجُّون، ومن ضمَّها، فمجازها: يَعْدِلون[٢]، وقال أبو الفضل البخاري(ق٧هـ) في وجه الكسر:" والمعنى: ولما ضَرَب عبدُ الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا، وجادل رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبادة النصارى إياه، إذا قومك: إذا قريش، منه: من هذا المثل، يصدون: يرتفع لهم جلبةٌ وضجيجٌ فرحا وجَذلا وضحكا بما سمعوا فيه من إسكات رسول الله عليه بجدلِه. وأما من قرأ ﴿**يَصُدّونِ**﴾بضم الصاد فمن الصدود، أي: مِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَثَلِ يَصُدُّونَ عَنِ الْحَقِّ وَيُعْرِضُونَ عَنْهُ "[٣]، ولعل هذا الأوفق في تنوع القراءات وسياق الموقف يؤيده، والحاصل أن قراءة الضم بمعنى الإعراض والعدول عن الحق، وقراءة الكسر بمعنى يعجبون و" يعجّون و يَضِجُّونَ ويَضْحَكُونَ" [٤]، و" يَصِيحُونَ وَيَرْتَفِعُ لَهُمْ حَمِيَّةٌ بِضَرْبِ الْمَثَلِ"[٥]،وورد الْمَثَلِ"[٥]،وورد هذا الفعل مضارعا بضم الصاد متعديا بـ (عن) في معنى الإعراض في عشرة مواضع، ولم ترد قراءة متواترة في أيٍّ منها بالكسر.

(١) جامع البيان للطبري ٦٢٦/٢١ و الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١٦.
(٢) مجاز القرآن ٢٠٥/٢ وزاد المسير ٨١/٤.
(٣) الشفاء في علل القراءات(١١٢٨/٢) و مفاتيح الغيب ٦٣٩/٢٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١٦.
(٥) البحر المحيط ٣٨٥/٩.

المثال الثاني: خَلَدَ: يَخْلُدُ ويَخْلِدُ:" خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْداً وخُلوداً: بَقِيَ وأَقام... وخَلَد يَخْلِد ويخْلُدُ خَلْداً وخُلوداً: أَبطأَ عَنْهُ الشَّيْبُ كأَنما خُلِقَ لِيَخْلُد"[1]،فخَلَدَ بِالْمَكَانِ يَخْلُدُ خُلُودًا، مِنْ بَابِ نَصَرَ، وَخَلَدَ – كَضَرَبَ وَنَصَرَ – خُلْدًا وَخُلُودًا: أَبْطَأَ عَنْهُ الشَّيْبُ، وقد اتفقت القراءات المتواترة على الضم في قوله تعالى﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[الفرقان:٦٩] وقوله تعالى ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ [الشعراء:١٢٩]، قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): خَلَد الشيءُ، أي: بقي، وأخلدته وخلَّدته، وأخلدت إلى كذا: أي أقمت عليه ولزمته، والخلود لا يكون في الدنيا[2]، ولم يرد في القرآن مضارع الخلود إلا في هذا السياق.

المثال الثالث: . نفَر: ينفِر وينفُر: جاء في معاجم اللغة:" ... نَفَرَه يَنْفِرُهُ ويَنْفُرُهُ نَفْرَاً، إذا غَلَبَه، وَنَفَرت الدّابّةُ تَنْفِرُ، بِالْكَسْرِ، وتَنْفُر، بالضمّ...: جَزِعَتْ من شَيْء وتَباعَدَتْ، وكلُّ جازِع من شيءٍ نَفُورٌ... وَنَفَر الحاجُّ من منى، يَنْفرُ، بِالْكَسْرِ، نَفْرَاً، بِالْفَتْح، ونُفوراً، بالضمّ،... واسْتَنْفَرَ الإمامُ الرَّعيَّةَ كلَّفَهم أَن يَنْفِروا خِفافاً وثِقالاً، وَنَفَروا للأمر يَنْفِرون، بِالْكَسْرِ..." [3]، وقد وردت القراءات المتواترة بالكسر، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ﴾[التوبة:٣٩].

المثال الرابع: النَّشْرُ: إذاعةُ الخبَر، وَقد نَشَرَه يَنْشِره، بِالْكَسْرِ، ويَنْشُره، بالضَّمِّ: أذاعَه، فانْتَشَر ... ونَشَرَتِ الأرضُ تَنْشُر نُشوراً، بِالضَّمِّ: أَصَابَهَا الربيعُ

(١) لسان العرب (خ ل د)
(٢) المحتسب(١٣٠/٢)
(٣) تاج العروس (ن ف ر)

فأنبَتَتْ، فَهِيَ ناشِرةٌ [١]، ويُقَالُ: نَشَر الميتُ يَنْشُر نُشُوراً إذا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ [٢]، وقد ورد المضارع في ثلاثة مواضع من المتواتر وموضع من الشاذ كلها بضم الشين؛ لأنها ليست بمعنى: إذاعةُ الخبَر، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] قرأ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَأَبُو حَيْوَةَ، و أَبَانٌ عَنْ عَاصِمٍ: (**نَنْشُرُهَا**) بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الشِّينِ وَالرَّاءِ، كأنه من النشر عن الطي، فكأن الموت طواها، والإحياء نشرها [٣]، وقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِي الْإِحْيَاءِ بِمَعْنًى، كَمَا يُقَالُ رَجَعَ وَرَجَعْتُهُ، وَغَاضَ الْمَاءُ وَغِضْتُهُ، إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي اللُّغَةِ أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى فَنَشَرُوا، أَيْ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ فَحَيُوا [٤]، وأما المتواتر فَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَالْكُوفِيُّونَ ﴿نُنشِزُهَا﴾ بِالزَّايِ الْمَنْقُوطَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ [٥]، وَاخْتَلَفُوا فِي قوله . تعالى .: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس:٢٢] فَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَهَا وَشِينٍ مُعْجَمَةٍ مَضْمُومَةٍ مِنَ النَّشْرِ، وَكَذَلِكَ

(١) تاج العروس (ن ش ر)
(٢) لسان العرب (ن ش ر)
(٣) زاد المسير (٢٣٥/١) والجامع لأحكام القرآن(٢٩٥/٣) والبحر المحيط(٦٣٧/٢)
(٤) الجامع لأحكام القرآن(٢٩٥/٣)
(٥) تقريب النشر (٤٧٣/٢)

هِيَ فِي أَهْلِ مَصَاحِفِ أَهْلِ الشَّامِ، وَغَيْرِهَا، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا يَاءٌ مَكْسُورَةٌ مُشَدَّدَةٌ مِنَ التَّيْسِيرِ، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مَصَاحِفِهِمْ[1].

المثال الخامس: كَفَرَ: يكْفُر ويَكفِر: قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]

يتنوع الجذر اللغوي(ك ف ر) صرفيا وتركيبا ودلالةً حسب المعنى، جاء في تاج العروس: " الكُفْرُ، بالضَّمِّ: ضِدُّ الْإِيمَان، ويُفتَحُ،... وَيُقَال: كَفَرَ نِعْمَةَ اللهِ يَكْفُرُها، من بَاب نَصَرَ، وَقَول الجوهريّ(ت٣٩٣هـ) تبعا لخاله أبي نصرٍ الفارابيّ(ت٣٥٠هـ) إِنَّه من بَاب ضَرَبَ لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّه غَلَط، والعجبُ من المُصَنِّف[2] كَيفَ لم يُنَبِّه عَلَيْهِ وَهُوَ آكَدُ من كثير من الْأَلْفَاظ الَّتِي يوردُها لغير فَائِدَة وَلَا عَائِدَة، قَالَه شيخُنا[3]. قلت: لَا غَلَط، والصوابُ مَا ذهب إِلَيْهِ الجَوْهَرِيّ وَالْأَئِمَّة، وتبعهم المصنِّف، وَهُوَ الحقُّ، ونصّ عِبَارَته: وكَفَرْتُ الشيءَ أَكْفِرُه، بالكَسْر أَي سَتَرْتُه، فالكفر الَّذِي هُوَ بِمَعْنى السَّتْر بالاتِّفاق من بَاب ضَرَبَ، وَهُوَ

(١) السابق (٢/ ٥٤١)

(٢) أي الفيروز آبادي.

(٣) الإمَام اللغويّ أبو عبد الله مُحَمَّد بن الطّيِّب بن مُحَمَّد الفاسيّ، (١١١٠ .١١٧٠هـ).

غير الكُفْر الَّذِي هُوَ ضدّ الْإِيمَان فإنَّه من بَاب نَصَر، والجَوْهَرِيّ إنَّما قَالَ فِي الكَفْر الَّذِي بِمَعْنى السَّتْر، فظَنَّ شيخُنا أَنَّهما واحدٌ، حيثُ إنَّ أَحدهمَا مأخوذٌ من الآخر.

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ (١)

فتأمَّل. كَذَلِك كَفَرَ بهَا يَكْفُرُ كُفوراً وكُفراناً: جَحَدَها وسَتَرَها" (٢)، وقال صاحب تفسير المنار:" وَالْكَفْرُ فِي اللُّغَةِ: سَتْرُ الشَّيْءِ وَتَغْطِيَتُهُ وَإِخْفَاؤُهُ، وَلِذَلِكَ وُصِفَ بِهِ اللَّيْلُ وَالْبَحْرُ وَالزُّرَّاعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠] لِأَنَّهُمْ يُغَطُّونَ الْحَبَّ بِالتُّرَابِ – وَفِعْلُهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ، وَقَالَ الْفَارَابِيُّ وَتَبِعَهُ الْجَوْهَرِيُّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَهُوَ خَطَأٌ، كَمَا فِي الْمِصْبَاحِ – (٣)، حيث قال: "كَفَرَ بِاللَّهِ يَكْفُرُ كُفْرًا وَكُفْرَانًا، وَكَفَرَ النِّعْمَةَ وَبِالنِّعْمَةِ أَيْضًا جَحَدَهَا ... وَكَفَرْتُهُ كَفْرًا سَتَرْتُهُ، قَالَ الْفَارَابِيُّ وَتَبِعَهُ الْجَوْهَرِيُّ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَفِي نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ مِنْ التَّهْذِيبِ يَكْفُرُ مَضْبُوطٌ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا كَفَرَ النِّعْمَةَ أَيْ غَطَّاهَا، مُسْتَعَارٌ مِنْ كَفَرَ الشَّيْءَ إذَا غَطَّاهُ، وَهُوَ أَصْلُ الْبَابِ وَيُقَالُ لِلْفَلَّاحِ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ الْبَذْرَ أَيْ يَسْتُرُهُ ... وَقَالَ الْفَارَابِيُّ: كَفَرْتُهُ إذَا غَطَّيْتُهُ مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَالصَّوَابُ مِنْ بَابِ قَتَلَ" (٤).

---

(١) البيت من الوافر للمتنبي في ديوانه (٤/ ١٢٠)

(٢) تاج العروس (ك ف ر)

(٣) تفسير المنار (١١٧/١)

(٤) المصباح المنير:(ك ف ر) (٥٣٥/٢)

= وَالْكفْر إِمَّا **كفر إِنْكَار** وَهُوَ أَن يكفر بِقَلْبِه وَلسَانه، وَأَن لَا يعرف بِمَا يذكر لَهُ من التَّوْحِيد، أَو **كفر جحود:** وَهُوَ أَن يعرف بِقَلْبِه وَلَا يقر بِلِسَانِهِ ككفر إِبْلِيس، أَو **كفر عناد:** وَهُوَ أَن يعرف بِقَلْبِه ويقر بِلِسَانِهِ وَلَا يدين بِهِ ككفر أبي طَالب، أَو **كفر نفاق:** وَهُوَ أَن يقر بِلِسَانِهِ وَلَا =

وقد ورد الفعل المضارع في ثمانية وخمسين موضعا، ومن كفران النعمة .

وقد ورد بالضم . أيضا . قوله تعالى:﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ﴾ [النمل: ٤٠] فيه قولان: **أحدهما:** أأشكر على السرير إذ أُتيتُ به، أم أكفر إذا رأيتُ من هو دوني في الدنيا أعلم منّي،. **والثاني:** أأشكر ذلك من فضل الله عليَّ، أم أكفر

=

يعْتَقد بِقَلْبِه، وَالْجمع سَوَاء فِي أَن من لَقِي الله تَعَالَى بِوَاحِد مِنْهُم لَا يغْفر لَهُ (الكليات:٧٦٥)

= وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء:٩٤]وأعظم الكُفْرِ: جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النّبوّة، ...، وقد يقال: كَفَرَ لمن أخلّ بالشّريعة، وترك ما لزمه من شكر الله عليه، قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾[الروم:٤٤] يدلّ على ذلك مقابلته بقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾... وقوله:﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور:٥٥] عني بالكافر السّاتر للحقّ، فلذلك جعله فاسقا، ومعلوم أنّ الكفر المطلق هو أعمّ من الفسق، ومعناه: من جحد حقّ الله فقد فسق عن أمر ربّه بظلمه، ولمّا جعل كلّ فعل محمود من الإيمان جعل كلّ فعل مذموم من الكفر، وقال في السّحر: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]" (المفردات ٧١٤).

- الْكفْر ضد الْإِيمَان يتَعَدَّى بِالْبَاء نَحْو: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة:٢٦٥]، وضد الشُّكْر يتَعَدَّى بِنَفسِهِ، يُقَال: كفره كفورا أَي: كفرانا، وَيُقَال: كفر الْمُنعم وَالنعْمَة وَلَا يُقَال: كفر بالمنعم وَالنعْمَة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧] المعنى:" ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ النعمة فلم تقيدوها بالشكر لأنقصنكم ولأعذبنكم ﴿ إِنَّ عَذَابِي﴾ بإزالتها وغيرها﴿ لَشَدِيدٌ﴾ فخافوه"، فالْكُفْرُ مُرَادٌ بِهِ كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَهُوَ مُقَابَلَةُ الْمُنْعِمِ بِالْعِصْيَانِ (التحرير والتنوير ١٣/١٩٤)

نعمته بترك الشُّكر له[١]، أَيْ لِيَخْتَبِرَنِي أَأَشْكُرُ نِعْمَتَهُ أَمْ أَكْفُرُهَا[٢]،وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢]، هو مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ، وَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ وَلَا تَكْفُرُوا نِعْمَتِي، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْكُفْرِ ضِدِّ الْإِيمَانِ، لَكَانَ: وَلَا تَكْفُرُوا، أَوْ وَلَا تَكْفُرُوا بِي، وَهَذِهِ النُّونُ نُونُ الْوِقَايَةِ، حُذِفَتْ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ بَعْدَهَا تَخْفِيفًا لِتَنَاسُبَ الْفَوَاصِلِ[٣]،وإثباتها حسن في غير القرآن[٤]، فمضارع هذا الفعل بالضم كقوله تعالى:﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧]﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت:٢٥]﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر:٤٢]،" {لأكفر} أي لأجل أن أكفر {بالله} أي أستر ما يجب إظهاره بسبب الذي أناله لأن له كل شيء وله مجامع القهر والعز والعظمة والكبر {وأشرك} أي أوقع الشرك {به} أي أجعل له شريكاً" [٥].

الرابع: أن يرجع ذلك إلى دلالة الحركة في السياق، "... إِذْ كَانَتْ أَقْوَى الْحَرَكَاتِ هِيَ الضَّمَّةَ؛ وَأَخَفُّهَا الْفَتْحَةَ؛ وَالْكَسْرَةُ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَهُمَا؛ فَجَاءَتْ اللُّغَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُعْرَبَةِ وَالْمَبْنِيَّةِ فَمَا كَانَ مِنْ الْمُعْرَبَاتِ عُمْدَةٌ فِي الْكَلَامِ لَا بُدَّ لَهُ

(١) زاد المسير(٣/٣٦٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن(١٣/٢٠٦)

(٣) البحر المحيط(٢/٥٠)

(٤) التحرير والتنوير(١/٨٥) وَالْكُفْرَانُ مَرَاتِبُ: أَعْلَاهَا جَحْدُ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارُهَا ثُمَّ قَصْدُ إِخْفَائِهَا، ثُمَّ السُّكُوتُ عَنْ شُكْرِهَا غَفْلَةً، وَهَذَا أَضْعَفُ الْمَرَاتِبِ وَقَدْ يُعْرِضُ عَنْ غَيْرِ سُوءِ قَصْدٍ لَكِنَّهُ تَقْصِيرٌ.

(٥) نظم الدرر(١٧/٧٦)

مِنْهُ: كَانَ لَهُ الْمَرْفُوعُ؛ كَالْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ الْقَائِمِ مَقَامَهُ وَمَا كَانَ فَضْلَةً كَانَ لَهُ النَّصْبُ؛ كَالْمَفْعُولِ وَالْحَالِ وَالتَّمْيِيزِ، وَمَا كَانَ مُتَوَسِّطًا بَيْنَهُمَا لِكَوْنِهِ يُضَافُ إلَيْهِ الْعُمْدَةُ تَارَةً وَالْفَضْلَةُ تَارَةً: كَانَ لَهُ الْجَرُّ وَهُوَ الْمُضَافُ إلَيْهِ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَبْنِيَّاتِ؛ مِثْلَ مَا يَقُولُونَ فِي أَيْنَ وَكَيْفَ: بُنِيَتْ عَلَى الْفَتْحِ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ لِأَجْلِ الْيَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي حَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ الْمَبْنِيَّةِ الْأَقْوَى لَهُ الضَّمُّ وَمَا دُونَهُ لَهُ الْفَتْحُ؛ .... وَهَذِهِ الْأُمُورُ وَأَمْثَالُهَا هِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ لِمَنْ عَرَفَهَا مَعْرُوفَةٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّجْرِبَةِ تَارَةً وَبِالْقِيَاسِ أُخْرَى .."[(١)]، فإنهم " فِي الْغَالِب يجْعَلُونَ الضمة الَّتِي هِيَ أقوى الحركات للمعنى الْأَقْوَى، والفتحة الْخَفِيفَة للمعنى الْخَفِيف، والمتوسطة للمتوسط، فَيَقُولُونَ (عزَّ يعَزُّ) . بِفَتْح الْعين . إِذا صلب ... وَيَقُولُونَ (عزَّ يعِزُّ) بِكَسْرِهَا: إِذا امْتنع، والممتنع فَوق الصلب، فقد يكون الشَّيْء صلبا وَلَا يمْتَنع على كاسره ثمَّ يَقُولُونَ (عزَّه يعُزُّه) إِذا غَلبه، قَالَ الله تَعَالَى فِي قصَّة دَاوُد . عَلَيْهِ السَّلَام . ﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾[ص:٢٣]، وَالْغَلَبَة أقوى من الِامْتِنَاع؛ إِذْ قد يكون الشَّيْء مُمْتَنعا فِي نَفسه متحصنا من عدوه وَلَا يغلب غَيره، فالغالب أقوى من الْمُمْتَنع فَأَعْطوهُ أقوى الحركات، والصلب أَضْعَف من الْمُمْتَنع فَأَعْطوهُ أَضْعَف الحركات، والممتنع الْمُتَوَسّط بَين المرتبتين فَأَعْطوهُ حَرَكَة الْوسط"[(٢)]، "

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/٤٢١)

(٢) يقال: عَزَّ يَعُزُّ، وَيَعَزُّ، ويَعِزُّ، ولكنْ باختلافِ معنىً، فالمضمومُ بمعنى غَلَب، والمفتوحُ بمعنى الشدةِ، ومنه: عَزَّ لحمُ الناقة أي: اشتدَّ، وعَزَّ عليَّ هذا الأمرُ، والمكسورُ بمعنى النَّفاسةِ وقلةِ النظير (الدر المصون٢/١٢٠) وَالْعِزَّةُ يُرَادُ بِهَا ثَلَاثَةُ مَعَانٍ: عِزَّةُ الْقُوَّةِ، وَعِزَّةُ الِامْتِنَاعِ، وَعِزَّةُ الْقَهْرِ، وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْعِزَّةُ التَّامَّةُ بِالِاعْتِبَارَاتِ الثَّلَاثِ، وَيُقَالُ مِنَ الْأَوَّلِ: عَزَّ يَعَزُّ بِفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمِنَ الثَّانِي: عَزَّ يَعِزُّ بِكَسْرِهَا وَمِنَ الثَّالِثِ: عَزَّ يَعُزُّ بِضَمِّهَا أَعْطُوا أَقْوَى الْحَرَكَاتِ لِأَقْوَى الْمَعَانِي، وَأَخَفَّهَا لِأَخَفِّهَا، وَأَوْسَطَهَا لِأَوْسَطِهَا، (مدارج السالكين٣/٢٤١) و قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاث أوجه: =

وَنَظِير هَذَا قَوْلهم (ذِبح) بِكَسْر أَوله للمحل الْمَذْبُوح، وَ(ذَبح) بِفَتْح أَوله لنَفس الْفِعْل، وَلَا ريب أَن الْجِسْم أقوى من الْعرض، فأعطوا الْحَرَكَة القوية للقوي، والضعيفة للضعيف، وَهُوَ مثل قَوْلهم (نِهب وَنَهب) بِالْكَسْرِ للمنهوب، وبالفتح للْفِعْل، وكقولهم (مِلْء ومَلء) بِالْكَسْرِ لما يمْلَأ الشَّيْء، وبالفتح للمصدر الَّذِي هُوَ الْفِعْل، وكقولهم (حِمْل وَحَمل) فبالكسر لما كَانَ قَوِيا مرئيا مُثقلًا لحامله على ظَهره أَو رَأسه أَو غَيرهمَا من أَعْضَائِهِ، وَالْحَمل بِالْفَتْح لما كَانَ خفيفا غير مثقل لحامله كحمل الْحَيَوَان وَحمل الشَّجَرَة بِهِ أشبه ففتحوه، وَتَأمل كَونهم عكسوا هَذَا فِي (الحِب والحُب) فَجعلُوا المكسور الأول لنَفس المحبوب، ومضمومه للمصدر إِيذَانًا بخفة المحبوب على قُلُوبهم ولطف موقعه فِي أنفسهم وحلاوته عِنْدهم، وَثقل حمل الحُب ولزومه للمحب كَمَا يلْزم الْغَرِيم غَرِيمه، وَلِهَذَا يُسمى غراما، وَلِهَذَا كثر وَصفهم لتحمله بالشدة والصعوبة وإخبارهم بِأَن أعظم الْمَخْلُوقَات وأشدها من الصخر وَالْحَدِيد وَنَحْوهمَا لَو حمله لذاب وَلم يسْتَقلّ بِهِ كَمَا هُوَ كثير فِي أشعار المتقدين والمتأخرين وَكَلَامهم" [(١)]، إنه" يتمكن من نفس المحب وقهره وإذلاله إياه، حتى إنه ليذل الشجاع الذي لا يذل لأحد فينقهر لمحبوبه، ويستأسر له كما يدل عليه الوجود، فلما كان بهذه المثابة أعطوه أقوى الحركات وهي الضمة، فإن

=

أحدها: بمعنى الغلبة، يقولون: من عزّ بزّ، أي: من غلب سلب، يقال منه: عزَّ يعُزُّ، بضم العين من يعز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص:٢٣]. **والثاني:** بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عز يعَزُّ، بفتح العين من يعز. **والثالث:** أن يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عز يعزّ، بكسر العين من يعزّ،(زاد المسير ١/١١٣)

(١)جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (١٤٧)

حركة المحب أقوى الحركات فأعطوا أقوى حركات المتحرك أقوى الحركات اللفظية ليتشاكل اللفظ والمعنى" [(١)].

ونظرية أن للحركات البنائية دلالة أقرها العلامة البقاعي (ت٨٨٥هـ) في نظم الدرر، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة:٢٤٦]، قال:" ... (عسيتم) بكسر سين عسى وفتحها لغتان، عادة النحاة أن لا يلتمسوا اختلاف المعاني من أوساط الصيغ وأوائلها، وفي فهم اللغة وتحقيقها إعراب في الأوساط والأوائل كما اشتهر إعراب الأواخر عند عامة النحاة، فالكسر . حيث كان . مبني ـ عن باد . عن ضعف وانكسار، والفتح معرب . عن باد . عن قوة واستواء " [(٢)].

ونَقَلَ الأَصْمَعِيُّ(ت٢١٦هـ) عَن بعض العَرَب: إِنَّمَا فُتِحَ دالُ الدَّيْنِ؛ لأَنَّ صاحِبَة يَعْلُو المَدِينَ، وضُمَّ دالُ الدُّنْيا؛ لابْتِنائِها عَلَى الشِّدَّةِ، وكُسِرَ دالُ الدِّين؛ لابْتِنائِه عَلَى الخُضُوعِ[(٣)].

وبناء على هذه النظرية يمكننا تفسير التنوع القرائي وعدمه في كل مضارع أجازت اللغة في عينه الكسر والضم، ولكن هذا يحتاج إلى دراسة موسعة لحركة المضارع وربطها بالسياق القرآني، وقد أشار العلامة البقاعي (ت٨٨٥هـ) إلى مثل ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١] يقول:" ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ – أي يغيب ويبعد عزوباً قوياً – على قراءة الجماعة بالضم، ولا ضعيفاً – على قراءة

(١) بدائع الفوائد (٨٧/٢)
(٢) نظم الدرر (٤١٠/٣)
(٣) تاج العروس (د ي ن)

الكسائي بالكسر ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أي من ذات ولا معنى" [١]، وفي قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١] يقول:" ﴿فَيَحِلَّ﴾ أي ينزل ويجب في حينه الذي هو أولى الأوقات به – على قراءة الجماعة بالكسر، ونزولاً عظيماً وبروكاً شديداً – على قراءة الكسائي بالضم" [٢]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨]:" فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: أي يعيبك عند مشاكليه على طريق الملازمة في ستر وخفاء أو تظاهر وقلة حياء" [٣].

كما أنه يمكننا أن ندرس المضارع ـ من حيث حركة عينه ـ من جوانب أخرى، مثل:

أولا: ـ النظير اللفظي، كما في:

أ. طمَس: يطمِس ويطمُس/ طمَث: يطمِثُ ويطمُث:

ورد هذان الفعلان في القرآن الكريم، وهما يتفقان في الحرف الأول والثاني وفي حركتهما ـ في الماضي ـ ويختلفان في الحرف الثالث بين حرفين متقاربين مخرجا.

وأصل الطمس محو الأثر والتغيير، ويستعمل بمعنى الإهلاك والإزالة أيضا، وفعله من باب ضرب ودخل، ويتعدّى ولا يتعدى [٤]، جاء في تاج

(١) نظم الدرر (١٥/٤٤٦)
(٢) نفسه (١٢/٣٢٠)
(٣) نفسه(٨/٥٠٣)
(٤) حاشية الشهاب (٥/٥٥)

العروس:" الطُّمُوسُ، بالضَّمِّ: الدُّرُوسُ والمِّحَاءُ، يُقال: يَطْمُسُ، بالضَّمّ، ويَطْمِسُ، بالكسْرِ، ... وطَمَسْتُه طَمْساً: مَحَوْتُه وأَزَلْتُ أَثَرَه، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وطَمَسْتُ الشْيءَ طَمْساً: استأْصَلْتُ أَثَرَه"(١)، وقد وردت القراءات المتواترة بالكسر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء:٤٧]، وقرئ في الشواذ بِضَمِّهَا،" وَهُمَا لُغَتَانِ"(٢).

قال القرطبي(ت٦٧١هـ):" نَطْمِسُ وَنَطْمُسُ . بِكَسْرِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا . فِي الْمُسْتَقْبَلِ لُغَتَانِ... وَيُقَالُ: طَمَسْتُهُ فَطَمَسَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، وَطَمَسَ اللَّهُ بَصَرَهُ ...، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [يس:٦٦] يَقُولُ أَعْمَيْنَاهُمْ"(٣).

وفي طمس الوجوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إعماء العيون، **والثاني:** أنه طمس ما فيها من عين، وأنف، وحاجب، **والثالث:** أنه ردّها عن طريق الهدى، فعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً، والمراد: البصيرة والقلوب، وعلى القولين قبله يكون المراد بالوجه: العضو المعروف(٤).

(١) تاج العروس (ط م س)

(٢) نسبت لأبي رجاء في البحر المحيط(٦٦٧/٣) ونسبت إلى عمرو بن عبيد، والجمحي عن عبد الوارث في المغني في القراءات (٦٦٤/٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن(٢٤٤/٥)

(٤) زاد المسير (٤١٧/١)

وأما الفعل الآخر فقد ورد في موضعين، قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن:٥٦] وقال تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾[الرحمن:٧٤]؛ وقرئ الفعل فيهما متواترا بالكسر والضم[(١)].

فما التفسير لتنوع القراءات المتواترة في الفعل الثاني دون الأول؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال من خمسة أوجه:

الأول: التنوع اللهجي، يعني أنه ليس شرطا أن يجمع القرآن وقراءاته المتواترة بين ما ورد في الكلمة من لغات في جميع مواضعها، وإنما يصطفي في سياق دون سياق، أو يَطِّرِد في جميع سياقاته.

الثاني: المشاكلة القرائية، ومعنى ذلك أن التنوع القرائي اللهجي في موضع سورة الرحمن يشاكل تنوعا قرائيا لهجيا في السورة نفسها، حيث تنوعت القراءات المتواترة على المستوى اللهجي في قوله تعالى: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الرحمن:٣٥] حيث قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمها[(٢)]، وهما لغتان[(٣)]،وأما موضع سورة النساء فليس في سابقه ولا في لاحقه ما يشاكله على هذا المستوى.

الثالث: ـ الدلالة الصوتية، حيث إن السين والثاء يتفقان في الهمس والرخاوة والانفتاح والاستفال، وتتميز السين بصفة الصفير، وهي صفة قوة، فلعلها كافأت ثقل الضمة التي في الفعل ﴿يَطۡمِثۡهُنَّ﴾.

(١) تقريب النشر (٧٠٦/٢)

(٢) تقريب النشر (٧٠٥/٢)

(٣) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٨٦٩/٢)

الرابع: أن الفاعل في قوله ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ نوعان: إنسٌ وجان، فتنوع الفاعل طبيعة وقوة وضعفا تنوعت حركة الفعل قوة وضعفا.

الخامس . للسياق أثر في دلالة التنوع والاتفاق، فسياق قوله ﴿نَّطْمِسَ﴾، سياق تخفيف، يقول البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ولما أمرهم وقطع حجتهم، حذرهم فقال – مخففاً عنهم بالإشارة بحرف الجر إلى أنه متى وقع منهم إيمان في زمن مما قبل الطمس أخره عنهم –: **{من قبل أن نطمس}** أي نمحو **{وجوهاً}** فإن الطمس في اللغة: المحو؛ وهو يصدق بتغيير بعض الكيفيات"[(١)]، وهو مشتركٌ بين محو الأثر وقلب الحقيقة[(٢)]، فكانت الكسر دلالة على التخفيف، وعلى هذه البعضية.

وأما قوله تعالى: ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾: فيحمل دلالة الافتضاض والجماع، ولا شك أن الافتضاض أثقل من مطلق الجماع، فكانت الضمة للدلالة على الافتضاض، والكسرة لمطلق الجماع، وفي تنوع الحركة أيضا إشارة لنفي الجماع ظاهريا من خلال الإنس، وباطنيا من خلال الجن.

قال البقاعي:" أي يجامعهن ويتسلط عليهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات أو غير ذلك، يقال: طمثت المرأة كضرب وفرح: حاضت، وطمثها الرجل: افتضها وأيضاً جامعها، والبعير عقلته، فكأنه قيل: هن أبكار لم يخالط موضع الطمث منهن **{إنس}**، ولما كان المراد تعميم الزمان أسقط الجارّ فقال: **{قبلهم}** أي المتكئين **{ولا جان }** وقد جمع هذا كل من يمكن منه جماع من ظاهر وباطن"[(٣)]

(١) نظم الدرر(٢٩٥/٥)
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(٢٣/٥)
(٣) نظم الدرر(١٨٤/١٩)

ب- **قنـــت/قنط:** قـــال تعـــالى:﴿ قَالَ وَمَن **يَقْنَطُ** مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦]﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ **يَقْنَطُونَ** ﴾ [الـروم:٣٦]﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا **تَقْنَطُوا۟** مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمـر:٥٣]،وقـد تنوعـت القـراءات المتـواترة فـي الفعـل **(يقـنط)** فـي المواضع الثلاثة، فَقَرَأَ الْبَصْرِيَّانِ، وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِكَسْرِ النُّونِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا[(١)] ، وَهُمَا لُغَتَانِ: قَنَطَ يَقْنِطُ، نَحْوَ ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَقَنِطَ يَقْنَطُ نَحْوَ عَلِمَ يَعْلَمُ، وَحَكَى أَبُو عُبَيْدَةَ(ت٢١٠هـ): قَنَطَ يَقْنُطُ بِضَمِّ النُّونِ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ(ت٣٧٧هـ): قَنَطَ يَقْنِطُ بِفَتْحِ النُّونِ فِي الْمَاضِي وَكَسْرِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ أَعْلَى اللُّغَاتِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشُّورَى: ٢٨]، وَحِكَايَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ(ت٢١٠هـ) تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ قَنَطَ بِفَتْحِ النُّونِ أَكْثَرُ؛ لِأَنَّ الْمُضَارِعَ مِنْ فَعَلَ يَجِيءُ على يفْعُل ويفْعِل، مثل: فسَق يفْسق، وَلَا يَجِيءُ مُضَارِعُ فَعَلَ عَلَى يَفْعَلُ[(٢)] ، فالحجّة لمن فتح النون: أن بنية الماضي عنده بكسرها كقولك: علِم يعلَم، والحجة لمن كسر النون: أن بنية الماضي عنده بفتحها كقولك: ضرَب يضرِب، وهذا قياس مطّرد في الأفعال[(٣)] ، قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): فيه لغات: قَنَطَ يقنِطُ، وقَنِطَ يقنَطُ، وقَنَطَ يقنُطُ، وقد حكيت أيضا: قَنَطَ يقنَطُ[(٤)] ، ففيه ثلاث قراءات[(٥)] ، وماضيه

(١) تقريب النشر في القراءات العشر ( )
(٢) مفاتيح الغيب(١٥٢/١٩) وينظر: الحجة للقراء السبعة(٤٧/٥)
(٣) مفاتيح الغيب(١٥٢/١٩)
(٤) المحتسب(٥/٢) وبصائر ذوي التمييز(٢٩٨/٤)
(٥) القراءة بالضم شاذة نسبت للأشهب (المحتسب(٥/٢)

محرك بحركات ثلاث أيضاً، وورد من باب نصر، وضرب وفرح، إلا أنه لم يقرأ إلا بواحدة منها، وهي الفتح في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشُّورَى: ٢٨]... فهو في اللغة مثلث[(١)]، وَمِنْ فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ اخْتِيَارُهُ كُلَّ لُغَةٍ فِي مَوْضِعِ كَوْنِهَا فِيهِ أَفْصَحَ، فَمَا جَاءَ فِيهِ إِلَّا الْفَتْحُ فِي الْمَاضِي، وَجَاءَ الْمُضَارِعُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ على الْقِرَاءَتَيْنِ[(٢)]، ولولا أنَّ القراءةَ سُنَّةٌ متبعةٌ لكان قياسُ مِنْ قرأ «يَقْنَطُ» بالفتح أن يقرأَ ماضيَه «قَنِط» بالكسر، لكنهم أَجْمعوا على فتحِه في قولِه تعالى في قوله:﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾[الشورى: ٢٨] . والفتحُ في الماضي هو الأكثر ولذلك أُجْمِعَ عليه، .. والقُنُوط: شدةُ اليأسِ من الخير[(٣)] .

وأما الفعل (يقنت) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣١]، ويَرِدُ القنوت بمعانٍ متعدِّدة: كالطاعةِ، والخُشوع، وَالصَّلَاةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْقِيَامِ، وَطُولِ الْقِيَامِ، وَالسُّكُوتِ؛ فيُصْرَفُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلى مَا يَحتَمِلُه لفظُ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِيهِ، وَقَالَ ابْنُ الأَنباري(٣٢٨هـ): القُنوتُ عَلَى أَربعةِ أَقسام: الصَّلَاةِ، وَطُولِ الْقِيَامِ، وإقامة الطَّاعَةِ، وَالسُّكُوتِ، وقال ابْنُ سِيدَهْ(ت٤٥٨هـ): القُنوتُ الطاعةُ، هَذَا هُوَ الأَصل، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾

(١) عناية القاضي وكفاية الراضي(٢٩٨/٥)
(٢) التحرير والتنوير(٦٠/١٤)
(٣) الدر المصون(١٦٧/٧)

[الأحزاب:٣٥] ؛ ثُمَّ سُمِّيَ القيامُ فِي الصَّلَاةِ قُنوتاً، وَمِنْهُ قُنوتُ الوِتْر، وقَنَت اللهَ يَقْنُتُه: أَطاعه[١] .

فما دلالة التنوع في فعل القنوط؟

لعل ذلك إلى الإشارة إلى تنوع القنوط قلةً وكثرةً، ضعفا وشدةً، فلا تقنطوا يا عباد الله قنوطا يسيرًا أو عظيما.

ثانيا: النظير الرسمي:

قد يتفق مضارعان رسما ووزنا، وتتنوع القراءات والبنية الصرفية في أحدهما دون الآخر، وذلك ما نراه في نحو:

١ـ ﴿يَعْزُبُ﴾و ﴿يَعْزُبُ ﴾ فكلاهما من الثلاثي، ورسمها واحد، وقد تنوعت القراءات المتواترة في الفعل الأول بين كسر الزاي وضمها، حيث قرأ الكسائي بكسر الزاي، والباقون بضمها[٢]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١] وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، وَالكسر والضم" لُغَتَانِ: عَزَبَ يَعْزُبُ، ويَعْزِبُ، مثل عكَف يعكُف، ويعكِفُ" [٣]، ومعناه: لا يغيب علما ورؤية وقدرة[٤]، وأما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا

(١) لسان العرب(ق ن ت)

(٢) تقريب النشر (٥٤٣/٢)

(٣) لسان العرب(ع ز ب) والشافي في علل القراءات: لأبي الفضل البخاري(٦٠٨/١) و مفاتيح الغيب(٢٧٤/١٧)

(٤)الشافي في علل القراءات: لأبي الفضل البخاري(٦٠٨/١)

﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف:٨٦]، فليس فيه إلا الضم[١]، يقال: " غَرَبَتِ الشمسُ تَغْرُبُ غُروباً"[٢]، ولعل التنوع القرائي في فعل العزوب لتنوع العزوب ضعفا وقوة، وهذا ما أشار إليه العلامة البقاعي(ت٨٨٥هـ) بقوله:" ﴿لَا يَعْزُبُ﴾- أي يغيب ويبعد عزوباً قوياً – على قراءة الجماعة بالضم، ولا ضعيفاً – على قراءة الكسائي بالكسر {عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ } أي من ذات ولا معنى" [٣]، أو لتنوع معنى العزوب، فقيل: يغيب، ويبعد، ويذهب[٤]، وأما فعل الغروب فلا مقصد فيه لقوة أو ضعف.

٢ــ ﴿يَحْلِفُونَ﴾و﴿يَخْلُفُونَ﴾ ورد المضارع (يَحْلِفُ) في أحد عشر موضعا، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة:١٨] و" حَلَفَ، يَحْلِفُ، مِن حَدِّ ضَرَبَ" [٥]، ونظيره رسما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف:٦٠] أي: يكونون خلفًا منكم، أو: يخلف بعضهم بعضًا مكان ابن آدم، أو: يعمرون الأرض بدلاً منكم[٦]، وفي تاج العروس:" خَلَفُ الإِنْسَانِ الَّذِي يَخْلُفُه مِن بَعْدِه، يَأْتِي بِمَعْنَى البَدَلِ، فيكونُ خَلَفاً مِنْهُ، أَي: بَدَلاً، وَمِنْه قَوْلُهُم: هَذَا خَلَفٌ مِمَّا أُخِذَ لَك،

(١) ينظر: المغني في القراءات(٣/١١٨٠)
(٢) لسان العرب(غ ر ب)
(٣) نظم الدرر(١٥/٤٤٦)
(٤)**الشافي في علل القراءات: لأبي الفضل البخاري(١/٦٠٨)**
(٥) تاج العروس (ح ل ف)
(٦) التفسير البسيط(٢٠/٦٩)

أَي: بَـدَلٌ مِنْـهُ، وَلِهَـذَا جـاءَ مَفْتُـوحَ الأَوْسَـطِ، ليَكُـونَ عَلَـى مِثَـالِ البَـدَلِ، وعَلـى مِثَـالِ ضِـدَّهِ أَيضـا، وَهُـوَ العَـدَمُ، والتَّلَـفُ،...يُقَـال فِـي الفِعْـلِ مِنْـهُ: خَلَفَـه فِـي قَوْمِـهِ، وَفِـي أَهْلِـهِ، يَخْلُفُـهُ خَلَفـاً، وخِلاَفَـةً، وخَلَفَنِـي فكـانَ نِعْـمَ الْخَلَفُ، وبِئْسَ الخَلَفُ..." [١].

٣ . ﴿يَفْتُرُونَ﴾﴿يَفْتَرُونَ﴾: الفعلان يتفقان رسما وإعرابا، ويختلفان في حركة التاء، و" فَتَرَ الشيْءُ، والحَرُّ، وفُلانٌ يَفْتُر ويَفْتِرُ، من حَدِّ نَصَرَ وضَرَبَ فُتُوراً كقُعُودٍ،...: سَكَنَ بَعْدَ حِدَّةٍ، ولاَنَ بَعْدَ شِدَّةٍ، وقولُه تعالَى فِي وَصْفِ المَلائكَةِ: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبيـاء:٢٠]، أَي لَا يَسْـكُنُون عَـن نَشَـاطِهم فِـي العِبَـادَة"[٢]، فالفُتُورُ: سكون بعد حدّة، ولين بعد شدّة، وضعف بعد قوّة[٣]، وقد ورد باتفاق القراءات المتواترة[٤] في قوله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠]، [الأنبياء:٢٠]، قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ بنوع كبر طلباً ولا إيجاداً ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾أي ولا يطلبون أن ينقطعوا عن ذلك فأنتج ذلك قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾أي ينزهون المستحق للتنزيه بأنواع التنزيه من الأقوال والأفعال التي هي عبادة، فهي مقتضية مع نفي النقائص إثبات الكمال ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾أي في جميع آنائهما دائماً، ولما لم يصرح هنا بإنكار منهم، ولا ما يستلزمه من الاستكبار، لم يؤكد العطف بالواو، فقال: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾عن ذلك في وقت من الأوقات، بخلاف ما في فصلت فإن الأمر فيها مبني على

(١) تاج العروس (خ ل ف)

(٢) تاج العروس (ف ت ر)

(٣) المفردات في غريب القرآن(٦٢٢)

(٤) وكذا في الشواذ، حيث لم يذكر صاحب كتاب المغني في القراءات(١٢٥٧/٣) شيئا .

حد استكبارهم المستلزم لإنكارهم المقتضي للتأكيد" [1]، قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت:٣٨]

وأما " فَرَى فُلانٌ كَذِباً: خَلَقَهُ، وافْتَراهُ اخْتلَقَهُ... واسْتُعْمِل الافْتِراءُ فِي القُرْآنِ فِي الكَذِبِ وللظُّلْمِ والشّرْكِ نَحْو قوْلِه تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٥٠]... "[2]، وَالِافْتِرَاءُ: الْكَذِبُ الَّذِي لَا شُبْهَةَ لِلْكَاذِبِ فِيهِ. لِأَنَّهُ مشتقّ من الْفري، وَهُوَ قَطْعُ الْجِلْدِ[3]، وَالِافْتِرَاءُ الْكَذِبُ الْمُتَعَمَّدُ[4]، وقد ورد هذا المضارع في ثلاثة وعشرين موضعا[5] كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران:٢٤]وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:٥٠] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل:١٠٥] [الإسراء:٧٣] وقوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [طه:٦١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ﴾ [الممتحنة:١٢]

---

(١) نظم الدرر (٤٠١/١٢)

(٢) تاج العروس (ف ر ي)

(٣) التحرير والتنوير (٨٤/٥)

(٤) التحرير والتنوير (١٧٢/٧)

(٥) وينظر: [المائدة:١٠٣] [الأنعام:٢٤] [الأنعام:١١٢] [الأنعام:١٣٧] [الأنعام:١٣٨] [الأعراف:٥٣] [يونس:٣٠] [يونس:٥٩] [يونس:٦٠] [يونس:٦٩] [هود:٢١] [النحل:٥٦] [النحل:٨٧] [النحل:١١٦] [القصص:٧٥] [العنكبوت:١٣] [الأحقاف:٢٨])

المطلب الثاني: فَعَل وأَفْعَلَ:

الضابط اللغوي:

" فَعَلَ وأفعل يجريان مجرى واحد "[١]، قال سيبويه(ت١٨٠هـ):" قد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد، إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل، فيجيء به قوم على فعلت، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت"[٢]، وعقد ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)بابا بعنوان:" باب فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ، باتفاق المعنى واختلافهما في التعدي"[٣].

ومن الأفعال المضارعة التي تنوعت قرائيا بين الصيغتين في موضع دون الآخر، **قوله تعالى:** ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة:١٠٦]، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ سوى الدَّاجُونِيِّ عَنْ هِشَامٍ﴿مَا نَنسَخۡ﴾ بِضَمِّ النُّونِ الْأُولَى وَكَسْرِ السِّينِ، وَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهما[٤]،وَهُوَ أَصْلُ مُضَارِعِ نَسَخَ، وَقَرَاءة ابْن عَامِرٍ مُضَارِعُ أَنْسَخَ مَهْمُوزًا بِهَمْزَةِ التَّعْدِيَةِ .

وذكر العلماء في توجيه القراءتين:

"أَنْ يَكُونَ نَسَخَ وَأَنْسَخَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ"[٥]، لكن ورد موضع آخر لهذا المضارع لم تتنوع فيه القراءات المتواترة[١]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن

(١) مفاتيح الغيب(٢٢/١٣)
(٢) الكتاب (٦١/٤)
(٣) أدب الكاتب(٤٤٤)
(٤) تقريب النشر في القراءات العشر (٤٦٠/٢)
(٥) مفاتيح الغيب(٦٣٧/٣)

رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج:٥٢]

والسؤال: هل من دلالة لتنوع القراءات في موضع سورة البقرة واتفاقها في موضع سورة الحج؟

أولا: النَّسْخُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا– النَّقْلُ، كَنَقْلِ كِتَابٍ مِنْ آخَرَ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَنْسُوخًا، أَعْنِي مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَإِنْزَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهَذَا لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي هاتين الآيتين، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩]أَيْ نَأْمُرُ بِنَسْخِهِ وَإِثْبَاتِهِ.

الثَّانِي: الْإِبْطَالُ وَالْإِزَالَةُ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا، وَهُوَ مُنْقَسِمٌ فِي اللُّغَةِ عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِبْطَالُ الشَّيْءِ وَزَوَالُهُ وَإِقَامَةُ آخَرَ مُقَامَهُ، وَمِنْهُ نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ إِذَا أَذْهَبَتْهُ وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾... قَالَ ابْنُ فَارِسٍ(ت٣٩٥هـ): "النَّسْخُ: نَسْخُ الْكِتَابِ، وَالنَّسْخُ: أَمْرٌ كَانَ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ قَبْلُ ثُمَّ يُنْسَخُ بِحَادِثٍ غَيْرِهِ، كَالْآيَةِ يَنْزِلُ فِيهَا أَمْرٌ ثُمَّ تُنْسَخُ بِآيَةٍ أُخْرَى، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَفَ شَيْئًا فَقَدِ انْتَسَخَ"[٢] ....

=

(١) وكذا القراءات الشاذة، ينظر: الجامع في القراءات للروذباري(٤٧/٣) وغرائب القراءات لابن مهران (٦١٣)، و شواذ القرآن واختلاف المصاحف (٥٣٦/٢) والمغني في القراءات لابن الدهان(١٢٨٩/٣)، وأما قوله تعالى ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الجاثية:٢٩] فالبنية اللغوية تقتضي الفتح لا غير.

(٢) مقاييس اللغة (ن س خ) (٤٢٤/٥).

الثَّـانِي: إِزَالَـةُ الشَّـيْءِ دُونَ أَنْ يَقُـومَ آخَـرُ مَقَامَـهُ، كَقَـوْلِهِمْ: نَسَـخَتِ الـرِّيحُ الْأَثَرَ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾أَيْ: يُزِيلُهُ فَلَا يُتْلَى وَلَا يُثْبَتُ فِي الْمُصْحَفِ بدله [(١)]، بل" يُبطله ويُذهبه﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾...: يُحْكِمُها من الباطل"[(٢)]، أو يُظْهِرُهَا مُحْكَمَةً لَا لَبْسَ فِيهَا [(٣)].

وبناءً على هذا فالنسخ في آية التنوع القرائي بمعنى إزالة الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي آية الاتفاق القرائي بمعنى إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه.

ثانيا: . قراءة ﴿نَنسَخۡ﴾ بالضم من الإنساخ، والهمزة إما:

أ ـ للتعدية، أي ما ننسخك من آية، أو ننسخ جبريل . عليه السلام .، والمعنى: نأمره بالإعلام بنسخها؛ لأنه لا يقدر أن ينسخ شيئا،" وَإِيضَاحُهُ أَنَّ نَسَخَ يَتَعَدَّى لِوَاحِدٍ، فَلَمَّا دَخَلَتْ هَمْزَةُ النَّقْلِ تَعَدَّى لِاثْنَيْنِ، تَقُولُ: نَسَخَ زَيْدٌ الشَّيْءَ، أَيْ أَزَالَهُ، وَأَنْسَخُهُ إِيَّاهُ عَمْرٌو: أَيْ جَعَلَ عَمْرٌو زَيْدًا يَنْسَخُ الشَّيْءَ، أَيْ يُزِيلُهُ"[(٤)].

ب– أو لمعنى الوجدان على صفة، نحو: أحمدته، أي: وجدته محمودا، ومعنى نجدها منسوخة: أنا ننسخها على ما سبق به علمنا بذلك، فهي في المآل موافقة للقراءة الأخرى[(٥)]، وأبخلته إذا وجدته بخيلا، وهذا المعنى لا يقبله السياق في آية الاتفاق القرائي؛ لأنه ما وجد منسوخا.

(١) الجامع لأحكام القرآن(٦٢/٢) والدر المصون(٦٢/٢)
(٢) زاد المسير(٢٤٦/٣)
(٣) البحر المحيط(٥٢٥/٧)
(٤) البحر المحيط(٥٤٨/١)
(٥) حاشية الشهاب(٢١٩/٢)

قَالَ مَكِّيٌّ(ت٤٣٧هـ): وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ لِلتَّعَدِّي، لِأَنَّ الْمَعْنَى يَتَغَيَّرُ، وَيَصِيرُ الْمَعْنَى مَا نَنْسَخُكَ مِنْ آيَةٍ يَا مُحَمَّدُ، وَإِنْسَاخُهُ إِيَّاهَا إِنْزَالُهَا عَلَيْهِ، فَيَصِيرُ الْمَعْنَى مَا نُنَزِّلُ عَلَيْكَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بخير منها أو مثلها، فيؤول الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ كُلَّ آيَةٍ أُنْزِلَتْ أَتَى بِخَيْرٍ مِنْهَا، فَيَصِيرُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَنْسُوخًا وَهَذَا لَا يُمْكِنُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ إِلَّا الْيَسِيرُ مِنَ الْقُرْآنِ. فَلَمَّا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ أَفْعَلَ وَفَعَلَ بِمَعْنًى إِذْ لَمْ يُسْمَعْ، وَامْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ لِلتَّعَدِّي لِفَسَادِ الْمَعْنَى، لَمْ يَبْقَ مُمْكِنٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ أَحْمَدْتُهُ وَأَبْخَلْتُهُ إِذَا وَجَدْتُهُ مَحْمُودًا أَوْ بَخِيلًا[١].

ج ـ أن يكون نَنْسَخْ من النسخ بمعنى الإزالة، ويكون التقدير: ما ننسخك أي نبيح لك نسخه، كأنه لما نسخها الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخا[٢]، وهذا المعنى لا يتوافق مع سياق آية الاتفاق القرائي.

ثالثا: قراءة الْجُمْهُور: ﴿ نَنْسَخْ﴾ مِنْ نَسَخَ، بِمَعْنَى أَزَالَ، فَهُوَ عَامٌّ فِي إِزَالَةِ اللَّفْظِ وَالْحُكْمِ مَعًا، أَوْ إِزَالَةِ اللَّفْظِ فَقَطْ، أَوِ الْحُكْمِ فَقَطْ[٣].

رابعا: قراءة ﴿نُنْسخ﴾ ردٌّ على من قال: أنسخ لم يوجد في اللغة كأبي حاتم(ت٢٥٥هـ) وأبي عليّ(ت٣٧٧هـ)، ولم يأت أنسخ بمعنى نسخ، ولا يصح فيه التعدية[٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن(٦٧/٢)
(٢) المحرر الوجيز(١٩٢/١)
(٣) البحر المحيط(٥٤٨/١)
(٤) حاشية الشهاب(٢١٩/٢)

المطلب الثالث: الضابط اللغوي: " تَفَاعَلَ وَفَاعَلَ يَأْتِي بمعنى فَعَلَ"(١).

ورد الفعل المضارع **(يَحُضُّ)** في ثلاثة مواضع، اتفقت القراءات المتواترة في موضعين(٢)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ **وَلَا يَحُضُّ** عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة:٣٤] وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ **وَلَا يَحُضُّ** عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣]، وتنوعت في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ **وَلَا تَحَاضُّونَ** عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر:١٨]، فقد تنوعت القراءات المتواترة فِي قوله تعالى: ﴿ تُكْرِمُونَ﴾ والأفعال الثلاثة بعده" فَقَرَأَ الْبَصْرِيَّانِ سِوَى الزُّبَيْرِيِّ عَنْ رَوْحٍ بِالْغَيْبِ فِي الْأَرْبَعَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْخِطَابِ وَمَعَهُمُ الزُّبَيْرِيُّ عَنْ رَوْحٍ، وَأَثْبَتَ الْأَلِفَ بَعْدَ الْحَاءِ فِي ﴿تَحَاضُّونَ﴾ أَبُو جَعْفَرٍ، وَالْكُوفِيُّونَ، وَيَمُدُّونَ لِلسَّاكِنِ(٣).

---

(١) البحر المحيط(٤٧٤/١٠) وليس يخفى ما للكمية من صلةٍ في التفريق بين الصيغة والصيغة، وبين الكلمة والكلمة، فالفرق بين فَعَلَ وفَعَّلَ فرق في الإفراد والتشديد، والفرق بين فَعَلَ وفَاعَلَ فرق في الحركة والمد، والفرق بين لم ولام فرق في الحركة والمد أيضًا، وبذلك تكون الكمية عظيمة الأهمية في مجال القيم الخلافية في اللغة، ومن ثَمَّ تكون ذات صلة عظيمة بالمعنى (اللغة العربية معناها ومبناها: ص٣٠٠)

(٢) وكذلك لم تتنوع القراءات الشاذة فيما وقفت من مصادر (ينظر: المغني في القراءات ١٨٢٥/٤، وفي ص(١٩٦٢): وقد قرأ عبيد بن عمير وزيد بن علي (ولا يُحَاضُّ) بضم الياء، وفتح الحاء، وألف بعدها)

(٣) تقريب النشر في القراءات العشر (٧٤٠/٢)

فالحجة لمن قرأه بالياء أنه ردّه على ما قبله، حيث أَتَى عقيب الْخَبَر عَن النَّاس فَأخْرج الْخَبَر عَنْهُم؛ إِذْ أَتَى فِي سِيَاق الْخَبَر عَنْهُم ليأتلف الْكَلَام على نظام وَاحِد، والحجة لمن قرأه بالتاء: أنه دلّ بذلك على أنّ النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . خاطبهم به، أَي: قل لَهُم؛ وَقَالُوا إِن المخاطبة بالتوبيخ أبلغ من الْخَبَر، فَجعل الْكَلَام بِلَفْظ الْخطاب.

. والحجة للكوفيين في زيادة الألف: قرب معنى: فاعلته من فَعَلْته" [(١)].

ـ أو أن قراءة ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بِالْألف، أَي لَا يحض بَعضهم على ذَلِك بَعْضًا، وحجتهم قَوْله ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾[البلد:١٧]، أَي أوصى بَعضهم بَعْضًا، وَالْأَصْل (تتحاضون) فحذفت التَّاء الثَّانِيَة للتاء الأولى.

والمعنى على قراءة الباقين: لَا تأمرون بإطعام الْمِسْكِين، وحجتهم قَوْله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الحاقة:٣٤]

قَالَ مُحَمَّد بن يزِيد(ت٢٨٥هـ): قَوْله ﴿ **ولَا يحضون**﴾أَي لَا يحض الرجل غَيره، فها هُنَا مفعول مَحْذُوف مُسْتَغْنى عَن ذكره، كَقَوْلِه ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [آل عمران:١١٠]أَي تأمرون غَيْركُمْ، وَحذف الْمَفْعُول هَا هُنَا كالمجيء بِهِ إِذْ فهم مَعْنَاهُ [(٢)]، فحذف المفعول لعلم السامع أي ولا تحضّون الناس [(٣)].

و"حَضَّه عَلَيْه يَحُضُّه، من حَدِّ نَصَرَ، حَضًّا، بالفَتْحِ، وحُضّاً، بالضَّمِّ،...: حَثَّهُ، وحَرَّضَه، وأَحْمَاهُ عَلَيْه، ... والحَضُّ: الحَثُّ على الخَيْر، ويُقَالُ: حَضَّضْتُ

(١) الحجة في القراءات السبع (ص٣٧٠) و حجة القراءات (ص٧٦٢)

(٢) حجة القراءات (ص٧٦٢)

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١٣٨/٥)

القَوْمَ على القِتَالِ تَحْضِيضاً: إذا حَرَّضْتَهم. ..." [(١)]، والملمح الدلالي الفارق بين الحثّ والحضّ: أنّ الحثّ يكون بسوق وسير، والحضّ لا يكون بذلك، وأصله من الحثّ على الحضيض، وهو قرار الأرض [(٢)].

ولعل السياق يفسر لنا سر التنوع القرائي في الفعل المضارع في سورة الفجر دون سورتي الحاقة والماعون، وذلك من وجهين:

الأول: أن السياق السابق واللاحق في سورتي الحاقة والماعون وارد على صيغة الإفراد، حيث يبدأ السياق في سورة الحاقة بقوله ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ ثم يأمر ربنا . تبارك وتعالى . ملائكته ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٢] ثم علل هذا العقاب، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة:٣٦]،

وكذلك السياق السابق في سورة الماعون واردٌ على الإفراد، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣]، " ولما كان هذا حاله مع الخلائق، أتبعه حاله مع الخالق، إعلاماً بأن كلاًّ منهما دالّ على خراب القلب وموجب لمقت الرب، وأعظم الإهانة والكرب، وأن المعاصي شؤم مهلك، تنفيراً عنها وتحذيراً منها، فسبب عنه قوله معبراً بأعظم ما يدل على الإهانة: ﴿فَوَيْلٌ﴾ولما كان الأصل: (له) بالإضمار والإفراد، وكان المراد ب ﴿ٱلَّذِى﴾الجنس الصالح للواحد وما

(١) تاج العروس (ح ض ض)

(٢) المفردات في غريب القرآن(ص٢٤١)

فوقه، وكان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لا يراه ولا يحسه لغيبته، وكان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع، وكان من باشرها ربما ظن النجاة ولو كانت مباشرته لها على وجه الرياء أو غيره من الأمور المحبطة للعمل، عبر بالوصف تعميماً وتعليقاً للحكم به ... تحذيراً من الغرور، وإشارة إلى أن الذي أثمر له تلك الخساسة هو ما تقدم ... مع الطبع الرديء، وأتى بصيغة الجمع تنبيهاً على أن الكثرة ليست لها عنده عزة؛ لأن إهانة الجمع مستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس، فقال: ﴿لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾"[1]، أو" جِيءَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِـ ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾: جِنْسُ الْمُكَذِّبِينَ عَلَى أَظْهَرِ الْأَقْوَالِ، فَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ مُعَيَّنًا عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَانَتْ صِيغَةَ الْجمع تذييلا يَشْمَلُهُ وَغَيْرَهُ، فَإِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَّصِفِينَ بِصِفَةِ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَصِفَةِ الرِّيَاءِ، وَصِفَةِ مَنْعِ الْمَاعُونِ"[2].

أما السياق السابق في سورة الفجر فوارد على الإفراد والجمع، فالإفراد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾، والجمع في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر:٢٠]، فتنوعت القراءات بين الصيغة الدالة على المفاعلة لدلالة الجمع، والصيغة الدالة على (فَعَل) للدلالة على المفرد.

الثاني: أن السياق في سورتي الحاقة والماعون للمُكَذِّب بالدين، ففي سورة الحاقة" قال معظماً لهذا الذنب لجعله في سياق الكفر، وبالتعبير بالحض مشيراً

(١)نظم الدرر (٢٨١/٢٢)

(٢) التحرير والتنوير(٥٦٧/٣٠)

بـه إلـى أن فاعل ذلك شديد الاستغراق في حب الدنيا؛ لأنـه لا يمنعـه من حث غيـره علـى الخيـر إلا ادخـاره لنفسـه: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾أي يحمـل ويحـث ﴿عَلَىٰ﴾بـذل ﴿طَعَامِ﴾أو إطعـام ﴿ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾أي تسـهيله بإعانتـه عليـه إن كـان موجـوداً، والسؤال في بذلـه ومـا يقوم مقامـه إن كـان مفقوداً، فكيف بالبذل من عنده، فإن ذلك لا يحمل عليه إلا الإيمان ...، والتقييد يفهم أنـه يحث علـى خدمـة الأكابر الجبـابرة، ويحـب العكـوف علـى أبـوابهم، والإضـافة مـع التعبيـر بالطعـام دون الإطعام تشعر بأن الفقراء يملكون كفايتهم من أموال الأغنياء، فدل ذلك على أنه مع كفره هو أشنع صفات الباطن في غاية الشح والقساوة وعدم المروءة للإعراض عن أسباب التمدح وعن التنزه عن سوء القالة وقبيح الذكر، وذلك أشنع الرذائل، فلذلك خصص هذين الأمرين، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحض على طعامهم ويقول: خلعنا نصف السلسة بالإيمان أفلا نخلع الآخر –يعني بالحث على الإطعام، وذمه على الاستهانة بالمساكين يفهم الذم على الاستهانة بمن هم دونهم ممن هو أسوأ حالاً منهم بطريق الأولى"[(١)].

وقولـــه:﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الحاقـة:٣٤] فِيـهِ دَلِـيلَانِ قَوِيَّـانِ عَلَـى عِظَـمِ الْجُـرْمِ فِـي حِرْمَـانِ الْمَسَـاكِينِ أَحَـدُهُمَا: عَطْفَـهُ عَلَـى الْكُفْرِ وَجَعَلَـهُ قَرِينَـةً لَـهُ، **وَالثَّـانِي:** ذَكَـرَ الْحَـضَّ دُونَ الْفِعْـلِ لِـيُعْلَمَ أَنَّ تَـارِكَ الْحَـضِّ بِهَـذِهِ الْمَنْزِلَـةِ، فَكَيْـفَ بِمَـنْ يَتْـرُكُ الْفِعْلَ![(٢)]، ونظيره قولـه تعـالى:﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي

(١) نظم الدرر (٣٧١/٢٠)

(٢) مفاتيح الغيب (٦٣٣/٣٠)

يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الماعون:٣]، وقَوْلُهُ في سورة الماعون: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾ فِيهِ وَجْهَانِ:"

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَحُضُّ نَفْسَهُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَإِضَافَةُ الطَّعَامِ إِلَى الْمِسْكِينِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الطَّعَامَ حَقُّ الْمِسْكِينِ، فَكَأَنَّهُ مَنَعَ الْمِسْكِينَ مِمَّا هُوَ حَقُّهُ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى نِهَايَةِ بُخْلِهِ وَقَسَاوَةِ قَلْبِهِ وَخَسَاسَةِ طَبْعِهِ.

وَالثَّانِي: لَا يَحُضُّ غَيْرَهُ عَلَى إِطْعَامِ ذَلِكَ الْمِسْكِينِ بِسَبَبِ أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ ثَوَابًا، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ عِلْمَ التَّكْذِيبِ بِالْقِيَامَةِ الْإِقْدَامَ عَلَى إِيذَاءِ الضَّعِيفِ وَمَنْعَ الْمَعْرُوفِ، يَعْنِي أَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْجَزَاءِ وَأَيْقَنَ بِالْوَعِيدِ لَمَا صَدَرَ عَنْهُ ذَلِكَ، فَمَوْضِعُ الذَّنْبِ هو التكذيب بالقيامة، وهاهنا سُؤَال: أَلَيْسَ قَدْ لَا يَحُضُّ الْمَرْءُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَلَا يَكُونُ آثِمًا؟ الْجَوَابُ: لِأَنَّ غَيْرَهُ يَنُوبُ مَنَابَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، أَوْ لِمَفْسَدَةٍ أُخْرَى يتوقعها، أما هاهنا فَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أَنَّهُ مُكَذِّبٌ بِالدِّينِ" [(١)].

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ):" ولما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، ...كانت القسوة عليهم علامة على الشر، وكان من بخل باللين في قاله أشد بخلاً بالبذل من ماله، قال معرفاً؛ لأن المكذب ينزله تكذيبه إلى أسفل الدركات، وأسوأ الصفات الحامل على شر الحركات: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أي يحث نفسه وأهله ولا غيرهم حثاً عظيماً يحمي فيبعث على المراد ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي بذله له، وإطعامه إياه بل يمقته ولا يكرمه ولا يرحمه، وتعبيره عن الإطعام – الذي هو المقصود – بالطعام الذي هو الأصل، وإضافته المسكين للدلالة على أنه يشارك الغني في ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، وقد تضمن هذا أن علامة التكذيب

(١) مفاتيح الغيب(٣٠٣/٣٢)

بالبعث – إيذاء الضعيف والتهاون بالمعروف، والآية من الاحتباك[١]: الدع في الأول يدل على المقت في الثاني: والحض في الثاني يدل على مثله في الأول" [٢].

وأما سورة الفجر فالسياق يحتمل ثلاثة أوجه في دلالة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾:"

الأول: أن المراد إِنْسَانٌ مُعَيَّنٌ، فَقِيلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقِيلَ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَقِيلَ: أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ الْمُسَمَّوْنَ أَعْلَامُ التَّضْلِيلِ.

الثاني: أن الْمُرَاد بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ، وَتَعْرِيفُهُ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ فَيَسْتَغْرِقُ أَفْرَادَ الْجِنْسِ، وَلَكِنَّهُ **اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ** مُرَادٌ بِهِ النَّاسُ الْمُشْرِكُونَ؛ لِأَنَّهُمُ الْغَالِبُ عَلَى النَّاسِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ الْغَالِبُ فِي إِطْلَاقِ لَفْظِ الْإِنْسَانِ فِي الْقُرْآنِ النَّازِلِ بِمَكَّةَ، كَقَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ [الْقِيَامَة: ٣]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [الْبَلَد: ٤، ٥]، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣] "[٣].

الثالث: أن الجمع في قوله ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ باعتبار مَعْنى الإنسانِ؛ إذِ المرادُ هو الجنسُ[٤]، يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا

---

(١) من ألطف أَنْوَاع البديع وأبدعها؛ وَقد يُسمى حذف الْمُقَابل: وَهُوَ أَن يحذف من الأول مَا أثبت نَظِيره فِي الثَّانِي، وَمن الثَّانِي مَا أثبت نَظِيره فِي الأول (الكليات٥٧)

(٢) نظم الدرر (٢٧٩/٢٢)

(٣) التحرير والتنوير(٣٢٦/٣٠)

(٤) إرشاد العقل السليم(١٥٧/٩)

وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيَخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ:٥٥، ٥٦]، وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ إِذَا ابْتَلَاهُ وَامْتَحَنَهُ وضَيَّق عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا﴾أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا وَلَا فِي هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلٍّ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يَصْبِرَ [(١)].

. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَضُّ عَلَى الطَّعَامِ كِنَايَةً عَنِ الْإِطْعَامِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَحُضُّ عَلَى فَعْلِ شَيْءٍ يَكُونُ رَاغِبًا فِي التَّلَبُّسِ بِهِ فَإِذَا تَمَكَّنَ أَنْ يَفْعَلَهُ فَعَلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الْعَصْر: ٣] أَيْ عَمِلُوا بِالْحَقِّ وَصَبَرُوا وَتَوَاصَوْا بِهِمَا [(٢)]، ففي المفاعلة في سورة الفجر توافق سياقيا مع سورة البلد السورة التالية في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [الْعَصْر: ٣].

ـ وقيل:" (**يَحَاضُّونَ**): يُحَافِظُونَ، وَ(**يَحُضُّونَ**): يَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ ... وَأَصْلُ (**تَحَاضُّونَ**): تَتَحَاضُّونَ، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا"[(٣)]، "فمَنْ قرأَ: (**تُحَاضُّونَ**) [(٤)] فمعْنَاه تُحَافِظُون، ومَنْ قرأَ:

---

(١) تفسير ابن كثير(٣٩٨/٨)

(٢) التحرير والتنوير (٣٣٣/٣٠)

(٣) فتح الباري (٧٠٣/٨)

(٤) رواية الشّيزري، وخلف عن الكسائي، وابن مسلم عن ابن عامر، وهي قراءة ابن أبي ليلى وابن مسعود (**المغني في القراءات ١٩٢٠/٤** وزاد المسير:٤٤٣/٤ والجامع لأحكام القرآن (٥٢/٢٠ والبحر المحيط(٤٧٤/١٠)

(**تَحَاضُّونَ**) فمَعْناه يَحُضُّ بَعْضُكُم بَعْضاً، ومَنْ قَرَأَ (**تَحُضُّون**) فمَعْنَاهُ تَأْمُرُونَ بإِطْعامِه، وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[الفجر:١٨] أي: لا يحثون غيرهم على إطعام المساكين، وجائز أن يحضوا ولا يتولوا بأنفسهم الإطعام، ويحتمل ألا يتولوا ذلك بأنفسهم، ويحضوا غيرهم، ففي هذه الآية ترغيب للمسلمين بإكرام اليتيم وتعاهد ماله، وتبيين أن عليهم أن يطعموا بأنفسهم، وأن يحثوا الأغنياء بإطعام المساكين" [(١)].

(١) تفسير الماتريدي (٥٢٢/١٠)

الخاتمة

بعد حمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، توصل البحث إلى نتائج منها:

- . الْمُشَاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ بابٌ معهود عند العرب، ووردت به القراءات المتواترة، وله أثر في دلالة النظير القرائي المتفق عليه في نحو قوله تعالى:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ **وَيَبْصُۜطُ** وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٥] وقوله ﴿ٱللَّهُ **يَبْسُطُ** ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ [الرعد:٢٦]؛ حيث قرئ الفعل ﴿**يَبْسُطُ**﴾في الموضع الأول بالسين والصاد، وفي الموضع الثاني بالسين فحسب، وفي كلٍّ مشاكلة لما قبله.
- . من دلالات الرسم للفعل المضارع أنّ قوله﴿وَيَبْصُۜطُ﴾كتب بالصاد في سورة البقرة دون نظائره ؛ لأن معناه مخالف لنظرائه وأخواته، وذلك أن معناه . والله أعلم .: يأخذ الصدقات، ويربيها لصاحبه، وقيل معناها: والله يخفض قوما ويرفع قوما، وقيل: يأخذ من قوم ويدفع إلى آخرين، فلما كان في المعنى مخالفا لمعنى أخواتها كتبت بالصاد؛ ليدل الخط على معناها.
- . تراعي اللغة الجوار في ألفاظها، وهذا ما لاحظناه في قوله تعالى:﴿يَوْمَ **يَأْتِ** لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود:١٠٥] حيث حذفت الياء رسما ولفظا في بعض القراءات وفق لغة هذيل، وفي ذلك " توخي لحسن الجوار " للآية اللاحقة وهي قوله تعالى:﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] فقراءة (سَعدوا) بفتح السين، قِيلَ: إنها لُغَة هُذَيْلٍ وَتَمِيمٍ، يَقُولُونَ: سَعِدَهُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَسْعَدَهُ، وهو ما عبر عنه سيبويه(ت١٨٠هـ) بقوله " أن يكونَ آخِرهُ على أوّله أولى".

- ـ أبان البحث عن دلالة التنوع القرائي في الفعل المضارع في الآيتين المتتاليتين: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨]، حيث إن أكثر القراء على كسر الفعل الأول وضم الفعل الثاني،، وعلةُ كثرة كسر الراء أنه أخفُّ في اللفظ؛ لأن الكسر أخف، وفي الراء خاصة لما فيها من التكرير فتصير الضمة فيها بمنزلة الضمتين وهي أثقل الحركات فعدلوا عنها؛ طلبا للخفة.
- . هناك نظائر لفظية وبنائية ورسمية للفعل المضارع لم تتنوع فيها القراءات، فمن النظائر اللفظية الفعل (يصدون) حيث تنوعت القراءات المتواترة في موضع سورة الزخرف دون سائر المواضع، ويلحق بهذا النظير ما اختلف فيه الفعلان في حرفين من مخرج واحد، حيث تنوعت القراءات في الفعل (يقنط) دون الفعل (يقنت)، ومثال النظائر الرسمية: تنوعت القراءات في الفعل (يعزب) دون (تغرب) ورسمهما واحد، ومثال النظائر البنائية: كل مضارع أوردت فيه مصادر اللغة كسر العين وضمها، وجاءت القراءات المتواترة على أحد الضبطين، مثل الفعل (يسبتون).
- . لم يتفق القراء على قياس واحد في الكسر والضم في عين المضارع، مما يدل دلالة ساطعة على أن القراءات مردها للرواية، ولا تخضع للقياس اللغوي، لكنها لا تخرج عن ضوابط اللغة.
- . أيدّ البحث . من خلال القراءات الشاذة . الزبيديَّ(ت١٢٠٥هـ) في نقاشه مع شيخه حول ضبط حركة عين المضارع من الفعل (يسبتون)؛ حيث يرى الشيخ أن جميع معاني (يسبت) بالكَسْر، وَلَا يُضَمُّ إِلاّ فِي: سَبَت، إِذا نامَ، ويرى الزبيدي أن (يسبت) لليهود، يُرْوَى فِعْلُه بالوَجْهينِ.

✍ . إذا عُرف أن الماضي على فعَل بفتح العين ولم يعرف المستقبل كيف هو، فالوجه أن يُجعل مستقبله على يفعِل بكسر العين؛ لأنه أكثر، والكسر أخف.

✍ . أبان البحث عن دلالة تنوع القراءتين في قوله تعالى: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ دون ﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ ؛ إذ الأول يحمل دلالة الافتضاض والجماع، ولا شك أن الافتضاض أثقل من مطلق الجماع، فكانت الضمة للدلالة على الافتضاض، والكسرة لمطلق الجماع، وفي تنوع الحركة أيضا إشارة لنفي الجماع ظاهريا من خلال الإنس، وباطنيا من خلال الجن، ولم يكن لهذا التنوع ملمح في الفعل الثاني، واتفقت القراءات على قراءته بالكسر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيا: المطبوعات:

إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥هـ)،تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (د.ت).

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ مـ.

إظهار الأسرار للبركوي(ت٩٨١هـ) ضمن كتاب: متون في اللغة العربية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء: لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوي(ت٦٨٣هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م.

البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

بدائع الفوائد: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس:للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

التحرير والتنوير= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

التَّفْسِيرُ البَسِيْط: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، دققه ونقحه وضبطه: أ.د/ عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز بن آل سعود، أ.د/تركي بن سهو بن نزال العتيبي/ العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م.

تقريب النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عادل إبراهيم محمد رفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٣هـ.

تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/١٩٩٦م.

جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ.

حجة القراءات: للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد: تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت:٣٧٧هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث .

الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق وتعليق الشيخ / علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ جاد مخلوف جاد، د/ زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرظه د/ أحمد محمد صبره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان . الطبعة الأولي ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

الدرة الفريدة في شرح القصيدة: لابن النجيبين الهمذاني(ت٦٤٣هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. جمال محمد طلبة السيد، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ =٢٠١٢م.

دليل المحتار إلى اختلاف علامات الوقف في مصاحف الأمصار: د. ياسر إبراهيم المزروعي، غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت (د. ت)

الساق على الساق في ما هو الفارياق: أحمد فارس الشدياق، قدّم له وعلق عليه: الشيخ نسيب وهيبه الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)

سرائر العربية في شرح الوافية الحاجبية: للشيخ العلامة محمد بن علي الجرجاني (كان حيا ٧٣٠هـ)، تحقيق: مصطفى محمود أبو السعود، المكتبة الخيرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ =٢٠٢٣م.

شرح الجعبري على متن الشاطبية المسمى كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق / فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ ط ١ سنة ٢٠١١ م .

الشفاء في علل القراءات: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن محمد الجريري البخاري(من علماء القرن السابع)، دراسة وتحقيق: د. صالح بن أحمد العماري، د. حبيب الله بن صالح السلمي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م.

شواذ القرآن واختلاف المصاحف: شمس الدين الكرماني محمد بن أبي نصر بن عبد الله(ت بعد ٥٦٠هـ)، تحقيق: أ.د/ الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

الكتاب الجامع لقراءات الأئمة العشرة بعللها ووجوهها وزيادة عليها: نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح الفارسي الشيرازي (ت٤٦١هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.

الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار: لأبي بكر أحمد بن إدريس (ق٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن حميد الجهني مكتبة الرشد، ط ١ ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م .

الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ): تحقيق: أ. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٨م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تح / عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت .

كشف المشكل في النحو: لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني(ت٥٩٩هـ) تحقيق: د. هادي عطية مطر، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م.

لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر . بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

لغة تميم دراسة تاريخية وصفية: د. ضاحي عبد الباقي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مؤسسة روزاليوسف ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ): تحقيق / علي النجدي ناصف، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي أسحق إبراهيم بن السِّري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

المغني في القراءات: لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي (ق ٦هـ)، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة الرسائل العلمية ٤٩، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ه) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م.

المكتفى في الوقف والابتدا: لأبي عمرو الداني (ت:٤٤٤هـ) تحقيق: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي – مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٩٨٧م .

من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٧٥م.

نثر المرجان في رسم نظم القرآن: ناصر الملة والدين محمد غوث بن ناصر الدين بن محمد بن نظام الدين أحمد النائطي الآركاتي (ت١٢٣٨هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود،، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م.

النشر في القراءات العشر: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د. ت).

الوقف والابتداء: لأبي الحسن لي بن أحمد بن محمد بن الغزَّال النيسابوري (ت٥١٦هـ)، تحقيق: د. طاهر محمد الهَمْس، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ = ٢٠١٩م.

ثبت الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	١٥٥٣
تمهيد: الضابط اللغوي: دلالته ومظاهره.	١٥٦٠
المستوى الأول: المستوى الصوتي.	١٥٦٤
المطلب الأول: إبدال السين صادا.	١٥٦٤
المطب الثاني: حذف حرف العلة من آخر المضارع المرفوع.	١٥٧٥
المطلب الثالث: إثبات حرف العلة في آخر المضارع المجزوم.	١٥٩٥
المبحث الثاني: المستوى الصرفي.	١٦٠٢
المطلب الأول: فَعَل: يفْعِلُ ويفعُل	١٦٠٢
المطلب الثاني: فعل وأفعل.	١٦٤٦
المطلب الثالث: تفاعل وفاعل يأتي بمعنى فعل.	١٦٥٠
الخاتمة	١٦٥٩
ثبت بأهم المراجع والمصادر	١٦٦٢
ثبت الموضوعات	١٦٦٨